

دكتور عبد العزيز نوار
رندا عبد العزيز نوار



الجزيرة العربية فى الوثائق البريطانية

قراءة فى وثائق غير منشورة





وثائق تاريخ العرب الحديث

الجزء الأول

الجزيرة العربية فى الوثائق البريطانية

د . عبد العزيز سليمان نوار   راندا عبد العزيز نوار

الطبعة الأولى
٢٠٠١



عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية
ĒIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المشرف العام : دكتور قاسم عبده قاسم

المستشارون

د . أحمد إبراهيم الهوارى

د . شوقى عبد القوى حبيب

د . قاسم عبده قاسم

مدير النشر: محمد عبد الرحمن عفيفى

تصميم الغلاف : محمد أبو طالب

الناشر : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

– ٥ شارع ترعة المريوطية – الهرم – ج.م.ع – تليفون وفاكس ٣٨٧١٦٩٣

ص . ب ٦٥ خالد بن الوليد بالهرم – رمز بريدى ١٢٥٦٧

Publisher: EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St ., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً : دبلوماسية المواجهة فى الجزيرة العربية بين القيادات الوطنية والدوائر العثمانية التركية والإنجليزية الهندية ١٩٠٤ - ١٩٠٥

مدخل :

نظراً لكثرة ما يصدر من دراسات وبحوث أكاديمية وغير أكاديمية عن تاريخ العرب الحديث والمعاصر فإننا نقدم دراساتنا على أساس نشر نصوص الوثائق مع مقدمة لكل وثيقة أو لكل مجموعة من الوثائق ، حتى نعطى القارىء فرصة تناول الوثيقة بقدراته ورؤيته التى قد تختلف مع تحليلنا للوثائق .

إن ندرة الإصدارات الوثائقية هى التى حثتنا على الإقدام على هذه المهمة الشاقة ، وحيث يتعذر نشر كافة الوثائق ، فقد شرعنا فى العمل على عدة محاور :

١ - نشر الوثائق الوطنية .

٢ - نشر الوثائق الأجنبية .

٣ - نشر وثائق تتناول قضية معينة .

٤ - نشر وثائق (دفاتر أو مجلدات) وثائقية تتناول فترة زمنية معينة .

ونشر الوثائق مهمة يجب أن نلقى بثقلنا عليها لأن الوثيقة الواحدة يمكن أن تخدم ميادين متعددة فى مجالات التأريخ الواسعة . ومع أن مصر غنية بثرواتها الوثائقية إلا أن نشر الوثائق لا يلقى العناية اللازمة . فناشر الوثائق مثله مثل (الجندى المجهول) .

إن عملية نشر الوثيقة شاقة من حيث العثور عليها ، ومن حيث تناولها وبحثها ، ومن حيث نسخها وأخيراً من حيث إخراجها . وعندما تخرج للقارىء وللباحث غالبًا ما تكون "جافة" لا يصبر عليها إلا متخصص فى حاجة إليها . ومع تقديرنا الكامل لكل هذه العقبات، إلا أن العقبة المادية تعتبر واحدة من أكثر العقبات الكأداء التى واجهناها ، ولا نزال نواجهها.

إن الغالبية العظمى من شعوب العالم تعنى بإصدار وثائق تاريخية تعبر عن مسيرتها الحضارية . وفى مصر محاولات عديدة فى هذا المجال ، ولكنها غير معبرة عن مكانة مصر ودورها الحضارى . ونخص بالذكر هنا الجهد الكبير الذى أدى إلى صدور عشرات المجلدات الوثائقية التاريخية عن عصر محمد على وإسماعيل باشا بصفة خاصة بفضل العناية الكبيرة التى أولاها الملك فؤاد الأول لهذا الموضوع ليخدم تاريخ جده إسماعيل باشا موجه النهضة المصرية الحضارية الثانية فى تاريخنا الحديث . ولم تتابع مصر هذه المسيرة لأسباب عدة ، ونفس النقد موجه إلى الغالبية العظمى من البلاد العربية ، ولكننا نخص مصر بالنقد الأشد لأنها هى صاحبة المكانة الأعلى من حيث الثروة الوثائقية التى تحتفظ بها عبر العصور، بينما الغالبية من الدول العربية الحديثة لا يتفوق الأرشيف الوطنى لديها على الأرشيفات الأجنبية من حيث المرجعية عند القيام بالعمليات التأريخية .

وقد قامت حكومة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر بإصدار بعض الوثائق الأساسية المتعلقة بالقضية المصرية (الاستقلال) وبالمسألة السودانية ، وعلى هذا النحو صدرت مطبوعات فى الكثير من البلاد العربية للتعبير عن وجهة نظرها إزاء قضية معينة مثل : خمسون عامًا على ثورة ١٩١٩ . ولكننا نطالب بإصدار الموسوعات التاريخية التى تغطى المسيرة الحضارية ونعنى بذلك موصوعات تتضمن ليس فقط الوثائق الأساسية وإنما دراسات تحليلية لهذه الوثائق ومن أمثلة ذلك : وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث .

أما إذا أمكن التوسع فى أى مشروع لنشر الوثائق أكثر من هذا المستوى المحدود، فإنه هو الذى ندعو إليه وعرضناه على الإدارة العليا لهيئة الكتاب ولدار الكتب ولدار الوثائق القومية المصرية والمجلس الأعلى للثقافة منذ سنوات وحتى وقت قريب جداً. ولعلهم يعدون الخطط لذلك.

إن هذا التقاعس هو الذى يعطى المبرر للباحثين فى تاريخ مصر والبلاد العربية والإسلامية لأن يعتمدوا (فقط) على المصادر الوثائقية الأجنبية ، ليدور من بعد حوار (الطرشان) حول

مصداقية ما يكتبون . ورغم كل هذا أقدمنا على هذه المهمة لعلنا نقدم مساهمة فى تدوين أكثر دقة لتاريخ مصر والبلاد العربية .

وعند التخطيط لمشروعنا هذا طرحت أسئلة ومقترحات عديدة :

هل نلتزم بالمفهوم الوطنى أى أن تقتصر الدراسات على كل قطر عربى على حدة ؟ مثل مصر - لبنان - السعودية ؟ . هل نلتزم - فى هذا الصدد - بالمفهوم الإقليمى : وادى النيل، الشام ، الهلال الخصيب ، المشرق العربى ؟ . هل نلتزم بالمفهوم القومى (القومية العربية) أم بالمفهوم الإسلامى (الجامعة الإسلامية) أم بالمفهوم (الشرق أوسطى) ؟ . هل نبدأ بالقرن السادس عشر أم التاسع عشر أم بالقرن العشرين ؟.

وإلى جانب هذه المقترحات طرحت العديد من الأفكار والاتجاهات التى كادت أن تضعنا فى دوامة المناقشات (البيزنطية) التى تقتصر على التنظير دون التنفيذ العملى الواقعى .

وتحددت معالم معينة لمشروعنا على النحو التالى :

١ - أن نصدر دراسات وثائقية على أساس المنهج التحليلى لكل وثيقة أو مجموعة من الوثائق التى تخدم موضوعًا معينًا مثل " وثائق مراد بك فى الصعيد " . وهى وثائق مصرية تتناول موضوعات (محلية) ذات صلات قوية بالتيارات والصراعات الدولية العالمية .

٢ - أن نصدر دراسات على نفس ذلك المنهج لوثائق أجنبية مثل وثائق F.O.406 / 20 Confidential Prints . والغالبية العظمى من الوثائق فى هذه المجموعة من الأرشيف الإنجليزى F.O. 406 Confidential Prints . وهى سلسلة كبيرة من أجزاء ، كل جزء يغطى نصف سنة على الأقل وهى كانت للاستخدام الداخلى بين المسئولين الإنجليز من معدى القرار تمهيداً لتكوين قرار يصدره وزير الخارجية (سكرتير الشئون الخارجية) . ومن هنا تأتى أهمية هذه المجموعة الوثائقية ، إلا أنها تحتاج إلى دراسة متأنية ومقارنة مادتها بمصادر أخرى ، ليس لأنها تشوه حقائق ، وإنما لأنها تعبر عن وجهة نظر لقنصل أو سفير فى الغالب الأعم وهى أقرب إلى توصيات وغالبًا يكون القرار الصادر من مركزى صنع القرار فى سملا[١] فى الهند و ١٠ دوانتج ستريت[٢] فى لندن مستنداً إلى هذه الرؤى .

---

(١) Simla

(٢) 10 Dauning Street

وقد توخينا نشر بعض الوثائق العربية إلى جانب هذه المجموعة الإنجليزية لتكون هناك صورة متكاملة لدى القارىء والباحث عن مختلف الرؤى : السعودية والعثمانية والإنجليزية ، وهى الأطراف الثلاث المتصارعة بصفة أساسية .

كانت التركيبات الاجتماعية السائدة هى القبيلة ، والولاء الأول كان لها ، وكان من أشهر التركيبات القبلية الشهيرة فى قلب وشرق الجزيرة هى مجموعة قبائل (عنزة) وغريمتها (شمر) التى كانت تمتد من جبل شمر (أجا وسلمى) إلى شمر الجربا ؛ وشمر طوقة فى العراق. كذلك من أهم العشائر هناك فى شرق الجزيرة العربية مجموعة عشائر (العجمان) ورفيقتها (بنى مره) .

ومن أشهر الأسرات الحاكمة فى الجزيرة العربية أشراف مكة المكرمة ، وآل حميد الدين فى اليمن ، وسلاطين لحج ، واليعاربة والبوسعيد فى عمان ، والقواسم وآل النبهانية وآل الجبور وبنى خالد ، وآل سعود فى الدرعية / الرياض منذ منتصف القرن الثامن عشر ، وآل الرشيد منذ منتصف القرن التاسع عشر . ونتجت عن هجرة العتب قيام أسرات حاكمة فى الكويت (آل صباح) وفى البحرين (آل خليفة) وهذه الأسرات الحاكمة كانت هى المسئولة عن كل شىء فى دائرتها .

والموارد الثابتة عزيزة فى شرق الجزيرة العربية ومنها المبالغ المخصصة لأمير حائل من أجل خفر قوافل الحجاج ، والضرائب أو الزكاة على الرعية وما يفرض على الأعمال التجارية والعقارات من مبالغ غير ثابتة القيمة ، فضلاً عما تدفعه القبائل من أموال .

وللتجارة الخارجية نوع من الازدهار فى موانى الخليج العربية من الكويت إلى مسقط ، وكانت للغالبية العظمى وللمشيخات المطلة على الخليج ، وكان لسلطنة / إمامة عُمان أسطول يتاجر عبر موانى المحيط الهندى وشرق إفريقية ، وكان أسطول عُمان هو الأكبر ، وكانت عُمان هى الدولة العربية التى أقامت لنفسها نوعًا من (الإمبراطورية) : عُمان - شرق إفريقية .

وحينذاك كان أى نمو بحرى فى المياه الهندية أو الخليجية أو فى بحر العرب يعنى تدخلاً بريطانيًا عسكريًا لتقويضه . ومع أن فارس لها سواحل طويلة مطلة على الخليج إلا أنها كانت تفتقر إلى أسطول فعال ومع أن الدولة العثمانية كانت تسعى إلى أن يكون لها أسطول قوى فعال فى الخليج إلا أن بريطانيا حالت دون ذلك بطريقة أو بأخرى .

* * *

فى ١٩٠١ / ١٩٠٢ يكون قد مر على استيلاء آل الرشيد - حكام حائل - على الرياض، عاصمة آل سعود ، حوالى عشر سنوات على القضاء على الدولة السعودية الثانية ، وعلى وجود عبد الرحمن بن فيصل آل سعود فى منفاه فى الكويت، لدى شيخها مبارك الصباح ، وبإعانة مالية من جانب الدولة العثمانية فى بعض سنوات المنفى . إن قبول عبد الرحمن للإعانة المالية ، وقبوله المنفى لدى مبارك ، جعل أمام عبد الرحمن خيارات متعددة مفتوحة :

١ - محاولة استرداد عاصمته الرياض ، على اعتبار أن التوازنات فى المنطقة تشير إلى أن السلطات العثمانية لاتحب أن ترى أسرة بعينها - مثل آل الرشيد - قد نمت نمواً كبيراً ، وعلى اعتبار أن الشيخ مبارك الصباح لديه نفس المخاوف إزاء آل رشيد . فإن قبول مبارك الصباح والدولة العثمانية استقرار آل سعود فى الكويت هو جزء من هذه السياسة التقليدية نحو إحداث توازنات تحول دون تصاعد قوة ما إلى درجة تهدد الآخرين . ولقد حاول عبد الرحمن أكثر من مرة بالأساليب الدبلوماسية وبالأساليب العسكرية أن يسترد عاصمته دون جدوى ، ولكن دون أن يفقد (مقره) فى الكويت ، مستفيداً من نظرية التوازنات تلك .

٢ - كانت الدولة العثمانية تعمل على تنفيذ مشروعات خطوط حديدية تمتد من العاصمة استنبول إلى أنقرة فالموصل وبغداد إلى البصرة فالكويت لينتهى عند منفذ طبيعى على الخليج العربى عند (كاظمة) . ومد خط حديد آخر من العاصمة العثمانية على طول مدن الشام الرئيسية إلى (معان) ومنها إلى (طابة) على الحدود المصرية - العثمانية ومنها إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة إلى اليمن حتى الحديدة ومخا . وكان الهدف العثمانى من وراء ذلك هو تحديث المنطقة (المشرق العربى) وتسهيل سرعة انتقال القوات العثمانية إلى الولايات العثمانية فى العراق وشرق الجزيرة العربية وإلى الشام وغرب الجزيرة العربية لتقوية قبضة الحكم العثمانى على هذه الولايات القلقة ولزيادة موارد الخزينة العثمانية منها ، ولحمايتها من الزحف الاستعمارى الإنجليزى الذى وطد أقدامه فيما هو جنوبى الإحساء حتى مسقط وعمان ومشيخات حضر موت وعدن ، وفرض وجوداً عسكريًا نهريًا على أنهار العراق وتحكم فى شط العرب ونهر كارون (قارون) .

وقد كانت انجلترا بطبيعة هذا الاتجاه العثمانى المهدد لسيطرتها الاستعمارية على حوض الخليج العربى وعلى حوض البحر الأحمر تعمل على الحيلولة دون تنفيذ هذين الخطين الحديديين. خاصة وأن ألمانيا - إحدى الدول الأوربية الكبرى - قد انطلقت أكثر من اللازم -

من وجهة نظر بريطانيا - فى تنفيذ مخططات توسعية استعمارية فى الدولة العثمانية فتبنت مشروعات مد تلك الخطوط من برلين إلى كاظمة فى الكويت ومن برلين إلى طابا المصرية وما وراءها .

وإلى جانب هذه الأهداف الإمبريالية الألمانية كان السلطان عبد الحميد الثانى قد انطلق فى استخدام الفكر الدينى لتجميع كافة المسلمين تحت مظلة الخلافة العثمانية بالدعوة إلى "الجامعة الإسلامية " . وهى دعوة يصعب على أى مسلم أن يناهضها ، وحيث أن بريطانيا كانت تضع يدها على بلاد إسلامية شاسعة فى حوض البحر الأحمر وفى الهند وما جاورها فإزاء هذا الخطر المزدوج (الإمبريالية الاستعمارية الألمانية والجامعة الإسلامية) ، قررت بريطانيا سد منافذ الكويت (كاظمة) وطابا أمام مشروعات الخطوط الحديدية الألمانية العثمانية . فقد كان من مبادىء السياسة العالمية الإنجليزية أن تتحكم بريطانيا فى الممرات العالمية وفى المنافذ النهرية والبحرية والمحيطية بأن يكون أسطولها هو أقوى أسطول على المستوى العالمى . ومن ثم كان من الضرورى لانجلترا أن تضع المنفذين (كاظمة وطابا) تحت سيطرتها وأن تدعم المقاومات العربية فى اليمن ضد الوجود العثمانى العسكرى هناك حماية لعدن البريطانية ، وأن تدعم المقاومات العربية للوجود العثمانى فى الخليج العربى حتى تستمر حمايتها على معظم أجزائه ، تلك الحماية التى فرضتها على ما هو جنوبى الإحساء على طول الساحل حتى عدن منذ مطلع القرن التاسع عشر وأعقاب ذلك .

تهيأت الظروف فى قمة الخليج العربى لتحقيق الهدف البريطانى فى الكويت (كاظمة) عندما تصاعدت الأزمات بين مبارك الصباح والسلطات العثمانية الحاكمة فى البصرة ، إذ كانت هذه السلطات تسعى - بتوجيه من السلطان / الخليفة عبد الحميد الثانى[١] إلى فرض اليد العليا التركية / العثمانية على الكويت . وجاء ذلك فى وقت كان فيه الشيخ مبارك الصباح قد انتزع حكم الكويت بإسالة دماء بعض أفراد أسرته التى فر بعضها إلى ولاية البصرة واتخذوها قاعدة للانطلاق لاسترداد حكم الكويت منه ، وأصبح هؤلاء أداة طيعة فى يد السلطات العثمانية فى البصرة لإزاحة مبارك عن الحكم وإسناده إلى المطالبين تمهيداً لوضع الكويت تحت الإدارة التركية / العثمانية المباشرة حتى تكون السلطات العثمانية مطلقة اليد فى تهيئة (كاظمة) لتكون منفذ خط حديد برلين - بغداد على الخليج العربى .

---

(١) حكم من ١٨٧٥ - ١٩٠٨ / ١٩٠٩ .

وكان مبارك يدرك أنه لا يستطيع أن يتصدى لاجتياح عثمانى للكويت فى هذه الظروف ، وفى نفس الوقت كان على بينة من أن الأتراك العثمانيين فشلوا فشلاً ذريعًا فى محاولات عديدة لمد سيطرتهم إلى الجنوب من الإحساء إذ منعتهم انجلترا من ذلك بالقوة ، وبقيت (قطر) – المنطقة الفاصلة بين الإحساء العثماني ومشيخات الساحل – بقيت (قطر) منطقة يتنافس عليها كل من الطرفين الإنجليزى والعثمانى ، الأمر الذى أعطى لقطر فرصًا لأن يكون لها سياستها نحو الصراعات فى المنطقة .

وفى خضم هذه التيارات توالى الضغط العثمانى على مبارك من جانب السلطات العثمانية فى العراق ، وأدى ذلك إلى أن يبحث مبارك عن مخرج له من هذه الأزمة . ونظراً لنجاح الإنجليز فى أن يفرضوا حمايتهم على مشيخات الساحل الخليجى من مسقط / عمان حتى الإحساء العثمانى ، فكان أن طرحت فكرة دخول الكويت تحت الحماية البريطانية فتحافظ بذلك على نظام الحكم والعمل الذى درجت عليه منذ حوالى قرنين من الزمان .

وهكذا تهيأ المناخ السياسى العام أمام مبارك الصباح ليعقد اتفاقية ١٨٩٩ واضعًا نفسه تحت الحماية البريطانية دون أن يعلن صراحة قطع صلاته مع الدولة العثمانية .

حقيقة وضعت الدولة العثمانية خطتها للسيطرة على الكويت على أساسين : عسكرى ودبلوماسى ، إلا أن خطتها العسكرية كانت محددة برفع المشكلة إلى أقصى درجة ممكنة لعل ذلك يرغم مبارك على الرضوخ للسلطات العثمانية ، والوصول فقط فى ذلك إلى " حافة الحرب" دون الوصول إلى المواجهة ضد بريطانيا .

بدأت خلال ذلك تتبلور نظرية (وطنية) لدى الأسرات الحاكمة العربية فى المشرق العربى على حساب نظرية " الجامعة الإسلامية " على الطريقة التركية العثمانية التى كان يتحمس لها السلطان عبد الحميد الثانى . ولم يكن فى استطاعة الخلافة العثمانية / السلطنة التركية أن تتجاهل مسيرة الأسرات الحاكمة نحو (الاستقلالية) ولم تكن فى استطاعة تلك الأسرات أن تتجاهل الدعوة (الوحدوية) تحت المظلة الإسلامية ، وحيث أن الفترة (أواخر القرن التاسع عشر) كانت تتسم بالتنافس الحاد – الذى قد يصل فقط إلى (حافة الحرب) – بين مختلف الأطراف المحلية والعثمانية والألمانية والإنجليزية – فقد تحولت المنطقة إلى ساحة من المناورات الدبلوماسية والسياسية والعسكرية تكاد لا تنقطع والتى تقدم فرصًا واسعة لممارسة سياسات تثير الأزمات .

ولذلك أرادت الدولة العثمانية أن تحقق أهدافها بالسيطرة على (الكويت / الكاظمة) عن طريق (غير مباشر) بواسطة آل الرشيد . وكان آل رشيد قد بلغوا ذروة قوتهم إذ كانت دولتهم (البدوية) تمتد من غرب الفرات إلى حائل العاصمة إلى أطراف الكويت إلى نجد ، وهو اتساع غير مقبول لدى كافة القوى المحلية فى تلك المنطقة ، كذلك لم يكن ذلك التوسع على هوى الدولة العثمانية على اعتبار أن أية إدارة (مستقلة) عن الدولة العثمانية ، حتى ولو كان استقلالاً ذاتيًا ، يتناقض مع السياسة التركية / العثمانية نحو تقوية قبضة الإدارة التركية / العثمانية فى كل مكان . إلا أن التطورات فى المنطقة فرضت على صناع القرار العثمانى استخدام آل رشيد كقوة ضاربة قادرة على السيطرة على الكويت .

الخطة العثمانية هى أن يكون آل رشيد فى المواجهة وأن تكون السلطات العثمانية العسكرية والسياسية فى الخلف خلال الحملة التى أعدها آل رشيد للاستيلاء على الكويت . وهى خطة لم يتبعها العثمانيون فى مشكلة مشابهة (طابا) . إذ كانت المواجهة بين الدولة العثمانية والإمبراطورية البريطانية مواجهة مباشرة بين قطع حربية على صفحات المياه أمام (طابا) – دون اشتباك – وبين وحدات مشاة تركية استولت على (طابا) وأخذ الإنجليز يعملون على إخراج القوات العثمانية منها حتى نجحوا فى ذلك فى ١٩٠٦م .

كان آل رشيد من جانبهم يتشوقون إلى القيام بدور الهجوم على الكويت لأسباب كثيرة وعوامل جغرافية وتاريخية واقتصادية واجتماعية وسياسية واستراتيجية .

فمن الناحية الجغرافية ، كانت دويلة آل الرشيد دولة داخلية لا منفذ لها تحت يد حكامها . والمنفذ إلى الخليج طريقه يمر عبر البلاد الواقعة تحت الحكم المباشر العثمانى : العراق العثمانى والإحساء العثمانى الذى أولها (الكويت) وآخرها (قطر) . فأن يحصل محمد آل رشيد أو خليفته عبد العزيز على منفذ ليس تحت الإدارة العثمانية المباشرة لأمر فيه إغراء شديد جداً لآل رشيد ، وهو إغراء كان قد تضاعف بعد أن استولى آل رشيد على نجد التى تعطيهم قدرة على الحركة نحو الشرق (الخليج العربى) .

ومن الناحية التاريخية امتدت الدولة السعودية الأولى من نجد إلى الإحساء إلى أطراف ولاية البصرة ، وحيث أن آل الرشيد استولوا على نجد فإن امتدادهم يعتبر امتداداً طبيعيًا له سابقة هى الدولة السعودية الأولى . وحيث أن الإحساء كانت تحت الحكم المباشر العثمانى ، فإن الكويت تشكل منفذاً مثاليًا لآل رشيد ، على اعتبار أن استيلاء آل رشيد على الكويت

-إذا حدث- يؤدى بطبيعة الحال إلى إزاحة آل الصباح ووضع الكويت تحت الإدارة المباشرة لآل رشيد . وهذا ما لا يستطيع آل رشيد تطبيقه فى أى بقعة تحت الحكم المباشر العثمانى .

ومع أن آل رشيد كانوا يدركون أنهم لو استولوا على الكويت فإن السلطات العثمانية لن تدع آل رشيد ينفردون بالكويت ، فإن فرص آل رشيد فى التفاهم على نظام يفيد الطرفين كانت كبيرة .

حقيقة كان آل رشيد لا يحبون أن يظل آل سعود مستقرين فى منفاهم فى الكويت نظراً لأن موقع وأوضاع الكويت كفيلة بأن تزود آل سعود فى الكويت بإمكانيات الحركة السياسية والعسكرية ضد آل رشيد ، إلا أن الشواهد خلال السنوات العشر التى قضاها عبد الرحمن بن فيصل كانت تشير إلى أنه لا يثير مشكلات سياسية أو عسكرية كبيرة ، إلا أن شخصية طموحة مثل عبد العزيز آل رشيد تفضل الاستيلاء على الكويت وإبعاد آل سعود عن الكويت. فآل رشيد على بينة من السياسات التى يتبعها سياسيو المنطقة ، فهم يتسمون بالأخذ بمبدأ عدم الثقة بالآخر ، الأمر الذى يحدوهم إلى أن يجمعوا أكبر قدر من الأوراق لاستخدامها عند اللزوم ، وكان وجود آل سعود فى الكويت من هذا القبيل من حيث أنه يمكن لمبارك أن يستخدم آل سعود لديه فى مجهودات عسكرية ضد آل رشيد إذ ما وجدوا أنفسهم فى حاجة إلى ذلك . لقد كان الأمر كذلك لدى آل الصباح ولدى السلطات العثمانية .

ومن ناحية أخرى ، كان للكويت مكانة اقتصادية عالية . فقد كانت الهند البريطانية تبعث ببريدها بحراً إلى الكويت لينطلق منها إلى الشام وعبر الأناضول إلى أوربا أو عبر البحر المتوسط إلى أوربا ، وهى مسئولية كانت تدّر على الكويت دخلاً كبيراً وتفتح أبوابًا واسعة فى العلاقات المشرقية والمغربية . وكانت للكويت تجارة محلية وعبر البحار الشرقية كبيرة بالنسبة لحجمها الصغير . وإذا كانت التجارة المحلية المشروعة تدر على الكويت دخلاً طيبًا ، فإن التجارة غير المشروعة ، خاصة تجارة السلاح والتهريب كانت عائداتها للكويتيين كبيرة جداً . فالاستيلاء عليها يفتح أبواب الثروة على حاكمها الجديد .

وإذا ما استولى آل رشيد على الكويت يكون قد أصبح أكبر قوة عربية فى المنطقة ، ويصبح قوة قادرة على أن تمد يدها إلى ما هو وراء الإحساء جنوبًا ، وهو أمر يضفى على من يحاول أن يمد نفوذه إلى تلك الجهات الخليجية / الإنجليزية صفة مجاهد فى سبيل الله ضد الوجود الاستعمارى الإنجليزى فى الخليج .

وبذلك تصبح انطلاقة آل رشيد نحو الكويت ونحو مشيخات الساحل الواقعة تحت الحماية البريطانية مهمة (جهادية / مقدسة) . ولقد كان حكام الكويت وقطر مدركين ذلك تمامًا ومصداق ذلك الوقفة الصلبة التى اتخذتها الكويت وقطر ضد الضغط (الشمرى) . ومع أن العثمانيين لا يرتاحون لحدوث ذلك الاتساع الشمرى ، إلا أن هذا الاتساع الشمرى يمكن أن يكون أداة عثمانية قوية ضد الاستعمار الإنجليزى فى المنطقة . ومن الناحية الثانية فإن هذا الاتساع (الشمرى) يجعل كلمته مرشحة للاستجابة أكثر عما يكون عليه الحال لو بقيت دويلة آل شمر (داخلية) .

ومن الناحية الاستراتيجية ، فإن قيام دولة واسعة على هذا النحو بزعامة آل رشيد يمكن أن تخلق مناخًا سياسيًا مختلفًا عن ذى قبل يؤدى إلى أن تعيد الإمبراطورية البريطانية فى الهند النظر فى سياستها نحو الخليج ، ونفس الشىء ينسحب على الدولة العثمانية ، خاصة إذا وضعنا فى الاعتبار العلاقات القوية بين شمر العراق وشمر الجبل ، وكذلك الدور القيادى القوى الذى تقوم به شمر الجربا ضد آل سعود منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى معظم القرن التاسع عشر .

***

كان عبد الرحمن بن فيصل قد حاول فى ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م أن يسترد الإحساء من الأتراك بعد حملة مدحت باشا لصالح سعود أخيه المتحالف معه ، وقد كان (العجمان) يدعمون سعود ، فانتصر على أخيه عبد الله - المسئول عن دعوة الترك إلى المجىء إلى الإحساء - ودخل سعود إلى الرياض . وشن عبد الرحمن بن فيصل حملة على الإحساء تدعمه قوة " العجمان " و " بنو مرة " ، ولكن العثمانيين اسندوا ولاية البصرة إلى (ناصر السعدون) الذى كان تحت يده قوات كثيفة من عشائر المنتفق وكذلك قوات نظامية عثمانية ، استطاع بها أن يطرد عبد الرحمن من الإحساء (أواخر ذى القعدة ١٢٩١هـ / ١٨٧٥م)[١] .

أعقب ذلك تصاعد للصراعات الأسرية بين :

- عبد الله بن فيصل ، توفى فى ٢٠ ربيع الثانى ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م .
- عبد الرحمن بن فيصل
- أولاد سعود بن فيصل .

وتداول هؤلاء الثلاثة حكم الرياض تحت مظلة آل الرشيد ، حتى حاول عبد الرحمن أن ينفض كل مظاهر اليد العليا لآل رشيد ، ولكنه منى بهزيمة حاسمة فى (المليداء) فى ١٣ جمادى الثانى ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م . وتيقن عبد الرحمن بن فيصل أن لا قدرة له من بعد على الصمود أمام محمد بن رشيد ، فآثر أن يجمع آله ويرحل بهم إلى الشرق [٢].

وعندما وصل عبد الرحمن بن فيصل إلى الإحساء كان كل حاكم ينظر إليه من زاويته وكيفية الإفادة من محنته . فقد كان عاكف باشا متصرف الإحساء العثمانى يرى فيه أداة لكى يفرض السيادة العثمانية على نجد ، فلا شك أن هذا التوسع الكبير الذى أحرزه آل الرشيد بالاستيلاء على نجد كان يهدد الوجود العثمانى فى الإحساء .

---

(١) بعد ثلاثة أسابيع تقريبًا من هذه الحادثة توفى سعود (١٨ ذى الحجة ١٢٩١هـ / ١٨٧٥م) .

(٢) هناك خلاف حول عمر عبد العزيز بن عبد الرحمن خلال عملية الارتحال من نجد إلى الشرق فهناك من يرى أنه كان فى الحادية عشرة من عمره وهناك من يرى أنه كان على مشارف العشرين . وفى كلتى الحالتين كانت لعملية الرحيل والتنقل من أطراف قطر إلى أطراف الكويت إلى العجمان إلى بنى مرة ، والاستقرار حوالى عشر سنوات فى الكويت ، كان كل هذا له تأثير قوى على تكوين عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود .

فعرض عاكف باشا على عبد الرحمن تعيينه على الرياض مقابل إعلان الولاء للسلطان / الخليفة العثمانى ، وأن يحكم الرياض باسمه ، ويقال أن عبد الرحمن رفض ذلك تجنبًا للاعتراف بنظام مرفوض أيديولوجيًا من عبد الرحمن ونحن لا نستبعد ذلك كلية وإنما نتساءل هل كان عبد الرحمن واثقًا كل الثقة من نفسه ليرفض مثل هذا العرض فى الوقت الذى كان فيه عبد الرحمن يلملم قواته من هنا ومن هناك لاسترداد عاصمته الرياض ؟ وعلى أى حال جمع عبد الرحمن قوة ، ودارت معركة (حريملاء) ، وانتصر عليه آل رشيد ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م.

ومع هذه النكسة المبكرة ، ظل عبد الرحمن بن فيصل على نوع من النشاط لتظل صورته أمام صناع القرار فى المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية ، وكانت المنطقة قد دخلت فى تطورات سريعة متلاحقة شاركت فيها الكويت والسلطات العثمانية فى العراق وآل الرشيد وآل ثانى حكام قطر وشاركت فيها كذلك تركيبات عشائرية قوية مثل العجمان وبنى مرة وعشائر المنتفق ، فضلاً عن أن الدول الكبرى مثل انجلترا وألمانيا وروسيا كانت كلها تراقب التطورات لتطوعها لمصالحها .

وبدأت فى خضم تلك التطورات تتبلور أحلاف وأحلاف مضادة ومن أبرزها حلف من آل رشيد ويوسف الإبراهيم (الكويتى) عدو مبارك اللدود لما كان بينهما من دماء غزيرة عزيزة، وكان الأمل كبيراً فى انتصار يحققه هذا الحلف ليضع يوسف الإبراهيم يده على الحكم بمساندة السلطات العثمانية ودعم من آل رشيد ليحكم من بعد لصالح هذين الطرفين .

أما الحلف الثانى فكان على رأسه مبارك الصباح ويدعمه بقوة ناصر السعدون على رأس رجال من عشائر (المنتفق) أقوى العشائر العراقية العربية فى جنوب العراق ، والتى كانت لها بصماتها على تاريخ البصرة والإحساء خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . هذا فضلاً عن انضمام عشائر (العجمان) و (بنى مرة) إلى هذا الحلف وكذلك عبد الرحمن بن فيصل كان له دور وكان لابنه عبد العزيز دور فى هذا الحلف .

كانت الخطة لدى الحلفين المتحاربين هى المواجهة فى حرب مكشوفة أما عبد الرحمن وابنه عبد العزيز فاتجها إلى شن حرب خاطفة على حامية آل رشيد فى الرياض لضرب عصفورين بحجر واحد :

- استرداد عاصمة آل سعود .

- إشاعة الاضطراب فى جيش آل رشيد المرابط عند الكويت لدى سماعه بحركة عبد العزيز فى الرياض إذ ستجعل آل رشيد بين مطرقة مبارك وسندان عبد العزيز بن سعود .

ولكن انهارت هذه الخطة جملة وتفصيلاً نظراً لأن المعركة الرئيسية عند " الصريف " انتهت بين الحلفين بهزيمة قاسية لآل الصباح ومن معه (١٧ ذى القعدة ١٣١٨هـ / ٧ مارس ١٩٠١م) . واستحال على عبد العزيز الاستمرار فى معركته من أجل الرياض وعاد أدراجه . لا ليعترف بالهزيمة وإنما ليعد العدة لجولة ثانية لاسترداد الرياض رغم تلك التطورات المحبطة للهمم ، إلا أنه كانت هناك بعض العوامل المشجعة له لذلك .

فرغم ذلك الانتصار الكبير الذى أحرزه آل الرشيد فى موقعة الصريف لم يستطع أى من عناصر ذلك الحلف المنتصر من دخول الكويت . وكان السبب الرئيسى لذلك هو التحرك الإنجليزى لحماية الكويت من أى غزو لها . وفى نفس الوقت كان مبارك فى حاجة إلى عملية عسكرية تخفف من حصار آل الرشيد للكويت فتوفر لعبد العزيز ما يمكنه من معاودة الكرة لفتح الرياض . وهذا ما قام به واسترد الرياض فى ١٩٠٢م .

شحذت هذه التطورات همم خصوم مبارك الكويت وعبد العزيز فى الرياض حيث أنه أصبح من متطلبات هذا الوضع بالنسبة للدولة العثمانية وآل الرشيد أن يقضوا على الوجود السعودى فى الرياض مرة أخرى حيث أن محور الكويت الرياض كان كفيلاً بأن يقضى على مخططات الدولة العثمانية وتابعيهما آل الرشيد الذين أصبحوا أكثر التصاقًا بالدولة عن ذى قبل ، فى نفس الوقت الذى أصبح فيه مبارك الكويت أكثر التصاقًا بالإنجليز عن ذى قبل ، أصبح مبارك أيضًا أكثر رغبة فى استمرارية عبد العزيز بن سعود فى الرياض حتى تتوزع قدرات ابن الرشيد العسكرية بين الكويت والرياض .

وفعلاً ركز آل الرشيد جهودهم ضد عبد العزيز فى الرياض ، فشكلوا قوة كبيرة من شمر الجبل وشمر الجربا (العراق) ومعها قوة نظامية عثمانية ، واستهدفت السيطرة على القصيم، إلا أن عبد العزيز أحرز نصراً مؤزراً فى " البكيرية " فى ١٥ / ٦ / ١٩٠٤ - غرة ربيع الأول ١٣٢٢ ، وأعقب ذلك هزيمة أخرى لآل رشيد فى (الشنانة) فى ١٨ رجب ١٣٢٢هـ / ٢٩ سبتمبر ١٩٠٤م وقيمة هاتين المعركتين أنهما أدتا إلى تغيير السلطات العثمانية من خططها لاحتواء الموقف الذى انقلب ضدها . فإلى جانب قيام السلطات العثمانية بتجميع حملة جديدة قوامها الجند النظامى بقيادة أحمد فيضى باشا ، أقدمت على حل الأزمة سلميًا بطرح تسوية

بين آل رشيد وآل سعود على اعتبار أنهما رعية عثمانية وأن يكون للدولة العثمانية قاعدتين عسكريتين فى بريدة وعنيزة حتى يتم الصلح النهائى .

ولم تطل محاولات فيضى باشا مع عبد العزيز فى هذا الصدد ، إذ استدعته السلطات العثمانية ليتوجه إلى جبهة القتال فى اليمن وترتب على ذلك أن تجمد الموقف ، وظلت قوات ضعيفة عثمانية بقيادة صدقى معسكرة على أطراف القصيم حتى اضطر قائدها إلى الرحيل ليتولى مهمة التفاوض مع عبد العزيز " سامى الفاروقى " وهو قيادة عربية مستتركة إلا أن عبد العزيز ظل يضغط عليه حتى اضطره إلى الانسحاب نهائيًا من القصيم .

(١)
رسالتان متبادلتان بين
الأميرلاى حسن شكرى وعبد العزيز بن سعود
١٠ ربيع الآخر ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤/٦/١٤

المقدمة

بعد أن أحرز عبد العزيز بن سعود انتصاره على القوات المشتركة الشمرية والعثمانية فى معركة (البكيرية) (أول ربيع الأول ١٣٢٢هـ / ١٥ يونيو ١٩٠٤م) وصلت قوات عثمانية جديدة إلى أطراف القصيم بقيادة الأميرالاى حسن شكرى الذى بعث - وكان فى عنيزه - برسالة إلى عبد العزيز بن سعود يسعى فيها إلى استعادة هيبة ودور الحكومة العثمانية فى هذه المنطقة المضطربة .

وتتسم هذه الرسالة بلهجة وكأنها إنذار شديد لتابع متمرد يجب أن ينصاع لأوامر أصحاب السيادة عليه وعلى رأسهم الخليفة العثمانى عبد الحميد الثانى ، وأن لا يتجاوز ذلك مدة أيام عشرة وإلا اعتبر عاصيًا الأمر الذى يجعل دمه مستباحًا ، وأرضه ميدان حرب .

وأكد الأميرالاى حسن شكرى مهمته فى أنه جاء لإصلاح الأوضاع المضطربة التى كانت تسود فى قلب الجزيرة العربية حينذاك و (نجد) بصفة خاصة . ملقيًا مسئولية هذه (الفتنة) مسبقًا على كاهل عبد العزيز الذى اتخذ طريقًا مرفوضًا من السلطات العثمانية من حيث أنه - أى عبد العزيز - لا يتعامل مع السلطات العثمانية بل على العكس يتعاون مع مبارك الصباح- شيخ الكويت المعروف - من وجهة النظر العثمانية - بخيانته للدولة العثمانية بعقده اتفاقية مع الإنجليز تضعه تحت حمايتهم بشكل أضر ضرراً بليغًا بمصالح الدولة العثمانية فى المنطقة .

وركز الأميرالاى حسن شكرى على أن الكلمة العليا تكون للسلطات العثمانية فى توجيه شئون هذه المنطقة ، وأنها هى التى يجب أن تنظر فيما بين آل رشيد وآل سعود من خلافات . وأن الدولة العثمانية وسلطاتها الحاكمة فى المنطقة هى التى تحدد من منهما هو المسئول عن إضرام نيران (الفتنة) . وأن ذلك من منطلق مفهوم الآية الكريمة { وأن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهم ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله . فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل } ومعنى هذا أن الأميرالاى كان يتوعد عبد العزيز بصفة خاصة على اعتبار أن الأميرالاى حمل عبد العزيز منذ البداية مسئولية إضرام (الفتنة) . وكان هذا جزءًا من اللهجة الشديدة التى اتسمت به هذه الرسالة ، أما عبد العزيز آل رشيد فكان مقبولاً من سلطات الدولة العثمانية ، لأنه كان يتداول معهم فى شئون هذه المنطقة ومن ثم كانت هذه السلطات مستعدة لأن تدعمه لأنه كان يتعامل معها بالطريقة المقبولة ، على العكس من عبد العزيز بن سعود .

ورفض عبد العزيز نهائيًا انطباق الآية القرآنية الكريمة على الصراع بين آل سعود وآل رشيد على اعتبار أن الأتراك العثمانيين منحازون لآل رشيد دون وجه حق ، وأنهم لو كانوا فعلاً على بينة من الأمر لما تركوا عبد العزيز آل رشيد مسيطراً على الرياض التى هى عاصمة آل سعود أبًا عن جد ، وكان الأجدى أن تتحرك السلطات العثمانية فى الوقت المناسب لطرد ابن الرشيد وتثبيت آل سعود . ومن ثم فإن السلطات العثمانية إنما هى متحاملة على آل سعود مؤيدة لآل رشيد .

ولكن الأميرالاى حسن شكرى نبه إلى أنه لا يأتى لدعم آل رشيد وإنما جاء لا مع هذا ولا ذاك وإنما لإصلاح أمر المنطقة وتأديب من يثبت أنه مسئول عن (الفتنة) .

وحتى يفوت الأميرالاى على عبد العزيز فرصة المناورة الدبلوماسية عرض عليه أما أن يأتى إلى المعسكر العثمانى أو أن يطلب عبد العزيز منه القدوم على عبد العزيز للتداول فى أحوال البلاد . ولكن عبد العزيز رد عليه رداً بأشد لهجة ، نعتقد أن الأميرالاى لم يكن يتوقعها .

فقد اتهم عبد العزيز بن سعود السلطان العثمانى والسلطات العثمانية بأنها كلها مسئولة عما آلت إليه المنطقة من تطورات خطيرة وعلى رأسها سوء معاملة والى البصرة لمبارك الصباح

حتى فضل أن يضع نفسه تحت الحماية البريطانية ، وسوء الإدارة فى الحجاز حتى تعرض حجاج بيت الله الحرام إلى النهب والسلب فى نفس الأراضى الإسلامية المقدسة ؛ وحتى ثارت اليمن على العثمانيين ثورة عارمة . وهذا كله بسبب العثمانيين ، وبرر عبد العزيز عدم تعامله مع السلطات العثمانية لأنهم ذوى نيات خبيثة ، بل الأهم من ذلك أن عبد العزيز لا يعترف بأية حقوق للدولة عليه وأنه " لا يعترف بالسيادة العثمانية ، وبالتالى فلا طاعة للعثمانيين عليه" .

وأخيراً وضع عبد العزيز بن سعود الأميرالاى حسن شكرى فى موقف شديد الحروجة . فهو لم يرفض اقتراح الأميرالاى بأن يلتقى مع عبد العزيز بطريقة أو بأخرى ، وإنما طلب منه أن يغادر قلب الجزيرة بالطريقة التى تناسبه وإلا تعرض لهجوم كاسح . فآثر الرجل أن ينسحب خاصة وأنه كان يقيم على مشارف القصيم الذى كان أهله يحتفلون بأنهم هم أصحاب النصر الكبير فى معركة البكيرية .

إن هذه الرسالة تكشف بوضوح حدة موقف عبد العزيز من مفهوم السيادة العثمانية ، فهو قد أعلن ذلك بكل وضوح فى هذه الرسالة . ولكن مما يثير فى النفس روح المقارنة بين اتجاهات عبد الرحمن بن فيصل وابنه عبد العزيز أن هناك وثائق عديدة تؤكد أن عبد الرحمن بعث ببرقية ورسائل إلى السلطان العثمانى يعلن فيها ولاءه للسلطان الخليفة العثمانى . فهل كان هذا من قبيل توزيع الأدوار ؟ أم أن حكام آل سعود عندما يجدون أن العاصفة أقوى منهم كانوا ينحنون لها حتى تمر ؟ والغالبية العظمى من الباحثين فى تاريخ الدولة السعودية الثالثة يرون هذا الرأى أى : معالجة آل سعود شئون بلادهم بنوع من (البراجماتية) التى تبدو فى بعض المواقف وكأنه ابتعاد عن المصداقية .

ونلاحظ فى رسالة عبد العزيز إلى الأميرالاى أنه يتحدث عن مستقبل العالم الإسلامى ، وحاجته إلى من يذود عن حياضه وهى لهجة تتناسب مع العوامل الأيديولوجية الإصلاحية عى الطريقة السلفية التى كانت تدفع آل سعود إلى تبنى رؤية إسلامية إصلاحية عامة .

رسالة من أميرالاى القوات العثمانية فى عنيزة حسن شكرى إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل (١٠ ربيع آخر ١٣٢٢ / ١٤ يونيو ١٩٠٤م)

نص الوثيقة

جناب المكرم عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل

بعد السلام والسؤال عن خاطركم نفيد جنابكم أن جلالة الخليفة الأعظم بلغه اضطراب الفتنة فى بلاد نجد ، وأن يداً أجنبية محركة لها ، فلهذا السبب بعثنى إليكم حقنًا للدماء ولمنع تداخل الأجنبى فى بلاد المسلمين .

فأنا أنذركم إذا لم تأتنا وتبين الأسباب التى حملتك على إضرام هذه الفتنة بدون مراجعة أى ولاية من ولايات الدولة ، واقتصارك على مراجعة صاحب الكويت ، وأخذ المدد منه ، وأنت تعلم علم اليقين أنه خارج عن طاعة الدولة ، ناكث لعهد الخليفة الأعظم وخائن له فى بلاده ، وما كان ينبغى منك الالتئام معه .

وأن قلت إن مجيئ هذا هو فقط لمساعدة ابن رشيد ، فلا تظن هذا الظن ، بل اصرفه عن فكرك ، ولو فعلت كما فعل ابن رشيد ، وطلبت من الدولة نجدة تقمع بها شرار الفتنة لكانت الدولة أرسلت عساكر لمعاونتك حتى ترى الصالح وتؤيده . سواء أنت أو ابن رشيد .

وأنا الآن ليس لى وظيفة غير الإصلاح وتقرير ما فيه صالح البلاد وأمانى العباد ، طبقًا للحديث الشريف[١] " إذا تقاتلت فئتان من المسلمين ، فأصلحوا بين أخويكم فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله " .

فها أنا مقيم بأطرافكم أما أن تقدموا إلىّ ، وإما أن تستقدمونى وتعرضوا علىّ ما عندكم، لأنظر فيه مع أمراء عساكرى ، وأسير فى الحكم طبق إرادة مولانا الخليفة .

---

(١) ليست حديثًا شريفًا وإنما الآية رقم ٨ سورة الحجرات رقم ٤٩ : { وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل ، وأقسطوا إن الله يحب المقسطين } .

فإياكم والمخالفة ، فتكونوا ممن عصى الله ورسوله . واعلم أنى لم أبرح عن خطة العدل والإنصاف ، فإن كنت محسنًا فالدولة تزيدك إحسانًا وإن كنت سيئًا فتدخل فى مراحم الدولة العثمانية .

وأعطيك مدة عشرة أيام تشاور بها القريب والبعيد وتختار لنفسك ما يصلح لها . وقد قال الله تعالى [١]: " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم " .

فمتولى أمركم الذى يجب له الإطاعة بنص الآية الشريفة هو خليفة الله ورسوله سلطان آل عثمان . فأنصحكم نصيحة مسلم لمسلم أن تسرعوا إلى الطاعة ، وأحذرك العصيان ، والله على ما نقول وكيل

تحريره فى عاشر ربيع آخر ١٣٢٢ هـ

كاتبه

ميرالاى حسن شكرى

(١) الصواب : { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم } .

نص الوثيقة

رد عبد العزيز بن سعود على الأميرالاى حسن شكرى

جناب الأميرالاى حسن شكرى

فهمنا خطابكم إلى آخره ، وأما قولك أن أمير المؤمنين بلغه خبر أمر هذه الفتنة فى البلاد العربية ، وما هان عليه إلا إصلاحها ، فسبحان الله هل تخفى عليه حقيقة الأحوال .

إنه هو المضرم لها ، وهى غاية مقصده . وما الحامل لمبارك الصباح على التحيز إلى دولة أجنبية ، إلا سوء أفعال محسن باشا والى البصرة ، فهو الذى نفرّه واضرم هذه الفتنة . ولذلك لم تبق لى ثقة بوالٍ أو مبعوث تركى . وإنى مختار لنفسى ما اختاره مبارك آل الصباح . والأحسن رجوعك من هذا المكان .

وما قولك أن الخليفة المعظم بعثك لتنظر الخلاف الواقع بينى وبين إبن الرشيد ، فليس إلا دأنكم تريدون غدر إمارتى . ولو كان الأمر كما زعمت لكنت نظرت فى بادىء الأمر لمن تكون بلاد نجد ، ولمن كان الأمر عليها من قديم ، ومتى كان ابن الرشيد أميراً لها ، وكيف دخل هذه الإمارة ؟ وأحواله لا تخفى عليكم ، وليس له حق فى المنازعة . وكان يمكنكم التدخل منذ أربع سنوات فى بادىء الأمر ، قبل استفحاله ، ولا نعترف لكم بسيادة ، والأحسن أنك ترجع من هذا المكان إن كنت لا تود سفك الدماء . فإن تعدّيت مكانك هذا ، مقبلاً إلينا فلا شك أننا نعاملك معاملة المعتدين علينا ، وقد قال الله تعالى : { فمن اعتدى عليكم ، فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم } .

فإن كنت حراً منصفًا فلا يخفاك إن سبب عدم إطاعتى هو عدم ثقتى بكم .

انظر إلى ولاية البصرة كيف فرطت فى الكويت ، وإلى والى اليمن كيف سلوكه فى اليمن فإنه أضرم فيها الفتنة ، وانظر إلى الحجاز وأهله التعساء ، وما يلاقونه هم وحجاج بيت الله الحرام فى السلب والنهب فى نفس البلاد من الحكام . فأى نصيحة تبديها لى يا حضرة الأميرالاى مع ما أراه من سوء المقصد وخبث نيات العمال .

وأمنية عموم المسلمين . هى أن الله يهيىء لهم من يحمى ضيعتهم ، ويعلى شأنهم . وأظن أنك لا تجهل جميع الأحوال التى عرضت عليك . وخلاصة القول أن كل العمال الذين رأينا خائنون منافقون .

فلا طاعة لكم علينا بل نراكم كسائر الدول الأجنبية

عبد العزيز ابن سعود

(٢)

رسالة من المستر ويلكى يونج(١)
إلى المستر والتر تويتلى(٢)
(١٥ ديسمبر ١٩٠٤)

مقدمة

تتناول الوثيقة إعداد الحملة العثمانية ضد عبد العزيز فى أواخر ١٩٠٤ ، بتكاليف إجمالية تبلغ ١٥ ألف جنيه إلى ٣٠ ألف ، وتعداد المقاتلين يبلغ فى أول الأمر ٢٥٠٠ ليصل إلى سبعة آلاف مقاتل . ووزعت مسئوليات جمع هذه القوة ومستلزماتها على ولايات المشرق العربى كلها تقريبًا . وكذلك على بعض ولايات الأناضول : ديار بكر - أدنه - الموصل- بغداد - البصرة - حلب - دمشق - الحجاز ، فضلاً عن قوة من " الحميدية " وهى من أكثر القوات العثمانية قربًا من السلطان العثمانى الذى أطلق اسمه عليها ، وكانت من أحسن القوات النظامية العثمانية حينذاك . وكان بها كثرة من الأكراد ، المعروفين بالميول العسكرية على نحو ما كان عليه معظم سكان الجبال حينذاك .

وقد أسندت قيادة هذه الحملة إلى فيضى باشا وكان واليًا على بغداد . ويبدو من التقارير التى وردت إلى الإنجليز عنه أنه كان يسعى إلى تجنب القيام بهذه المهمة ولكنه فشل فى تحقيق ذلك .

ويبدو أن فيضى باشا كان يتوقع فشل هذه الحملة سواء بسبب المقاومة التى سيبديها عبد العزيز أو بسبب قسوة المسيرة إلى القصيم عبر الصحراء ، وبين أرضيه بشرية رافضة للوجود التركى .

وقد اقترح فيضى باشا أن ينتقل على رأس قواته من العراق إلى الشام ليشن هجومه من هناك على نجد ، وأنه لاقتراح محير لما كان يتضمنه من مسيرة عبر الصحراء إلى دمشق ثم منها إلى نجد فهل كان ذلك من أساليبه للتخلى عن قيادة حملة مكتوب عليها الفشل ؟

---

(١) القائم بأعمال القنصل الإنجليزى فى ديار بكر .

(٢) القائم بالأعمال من قبل ملك بريطانيا لدى بلاط السلطان العثمانى .

وتحدثنا الوثيقة عن متاعب فيضى باشا فى تكوين هيئة استشارية له أثناء قيادة الحملة . فقد عين المدعو (فباد) ابن أحد شيوخ عنزه ، ولكنه لم يلبث أن أبعده ، ويقال أن (فباد) هذا كان صديقًا لعبد العزيز بن سعود ، وقد عمل فيضى باشا على كسبه إلى صفه فعينه على مشيخة عشائر عنزه .

وقد كان لدى الضباط والمسئولين الأتراك اعتقاد جازم بأن أصابع الإنجليز وراء تلك الاضطرابات التى وقعت فى المنطقة .

إلي جانب هذه الاستعدادات العسكرية العثمانية ضد عبد العزيز ، حثت السلطات العثمانية الوالى فى البصرة على استدعاء عبد العزيز إلى البصرة للتباحث معه فيما يكون عليه مستقبل المنطقة ومستقبل عبد العزيز أيضًا . ولا شك أن هذا إجراء منطقى ولكن هناك احتمال أن يكون الهدف الرئيسى لوالى البصرة هو أن يستدعى عبد العزيز ليلقى القبض عليه ويسهل من بعد التخلص نهائيًا منه . وكثيراً ما فعل الأتراك العثمانيون ذلك مع العديد ممن تمردوا على السلطان العثمانى .

وفى الحالة التى نحن بصددها ، فإن أسرع طريقة للتخلص من عبد العزيز كانت بمؤامرة عليه من هذا القبيل ، فمن العسير جداً أن يحل محله آخر حينذاك ، وبذلك يتم إجهاض الدولة السعودية الثالثة وهى لا تزال فى المهد . ولكن هذه المحاولة لم تنجح لذكاء عبد العزيز ابن سعود فى إدراكه مثل هذه الأساليب ، ولأن والده عبد الرحمن فى ذلك الوقت المبكر من تاريخ الدولة السعودية الثالثة كان يتولى المسائل التى تحتاج إلى دبلوماسية المفاوضات .

وتشير هذه الوثيقة إلى أن ابن الرشيد استثمر وجود قوة حربية عثمانية لتوجيه ضربة إلى ابن سعود ، ولكنه وهو يفعل ذلك كانت عينه على ما يمكن أن يقوم به العثمانيون فى حالة الانتصار . فهو لا يكن أي ود أو صداقة للأتراك ، وظهر هذا بوضوح بعد أن انجلت المعركة عن هزيمة كاسحة نزلت بالقوات التركية العثمانية ، ويعزو البعض هذه الهزيمة إلى أن ابن الرشيد وضع القوات التركية فى المقدمة لتتلقى الصدمة الأولى وهى الأخطر فإن انتصرت قوات العثمانيين يكون آل رشيد قد احتفظوا بقدراتهم العسكرية فى الوقت الذى تكون فيه قدرات العثمانيين قد تعرضت لخسائر بشرية الأمر - لو حدث على هذا النحو - الذى يمكن آل رشيد من الاستمرار فى السيطرة على البلاد .

فلما وقعت الهزيمة نكل ابن الرشيد بمن تبقى منهم بعد المعركة ، بل لقد بلغ الأمر أن قتل اثنين من الضباط برتبة أميرالاى وكولونيل بحجة أنه أصدر إليهما أوامره بمعاودة القتال إلا أنهما رفضا فدفعا حياتهما ثمنًا لذلك . وهذا يؤكد لنا أن ابن الرشيد كان يتعامل مع الأتراك العثمانيين ليس على أنهم سادة أو حلفاء له وإنما على اعتبار أن الظروف هى التى أرغمته على أن يتعاون معهم . فهم (دخلاء) سواء أكانوا متعاونين أو غير متعاونين مع آل رشيد .

وتقدم لنا اليوميات التى ترسل أسبوعيًا إلى حكومة الهند من بغداد رواية لها دلالتها عن السبب الرئيسى فى وقوع الهزيمة ، وهى أن واحداً من ذوى الحيثية من أسرة متنفذة (بسام) غرر بعبد العزيز آل رشيد عندما أسر إليه بأوضاع عبد العزيز بن سعود العسكرية فى مدينة (بريدة) ، فعلى أساسها تحرك آل رشيد وما أن وصلوا إلى هذه البلدة حتى انقض عليهم عبد العزيز بن سعود ورجاله وولى الآخرون هاربين .

إن مثل هذه المناورات والتضليلات هى سمة من سمات الصراعات العسكرية وهناك حينذاك الحرب خدعة.

نص الوثيقة

Mr. Townley to the Marquess of Lansdowne - (Received January 2 , 1905)

(No. 980)

My Lord , Constatinople, December 27, 1904

With reference to my despatch No. 969 of the 20th isntatant, I have the honour to forward to your Lordship herewith copy of a despateh from His Majesty's Acting Vice-Consul at Diarbekir, reporting rumoured prepartion in the Vilayet for military operations in Southern Arabia .

I have & c.

(Signed) WALTER TOWNLEY

Acting Vice-Consul Young to Mr. Townley

Sir, Diarbekir, December 15, 1904

I HAVE the honour to report that there has been considerable stir in the higher official circles of this vilayet during the past week owing to peremptory orders which it would seem have been received from Constantinople to raise a sum of L T. 15,000 and to provide some 6,000 camels immediately for purposes of transport .

There is also a persistent rumour that Ibrahim Pasha has received secret orders to hold his command, viz, three regiments of Hamidieh in readiness for service in Southern Arabia .

These circumstances are not generally know in the vilayet; but the impression is wide-spread that preparation is being made on a large scale for operations in connection with recent disturbances among the Southern Arab tribes .

I have, & c.

(Signed) H. WILKIE YOUNG

Inclosure 2 in No1

Extract from diary to Government of India for week ending November28, 1904

THE Vice-Consul at Kerbala reports as follows about the recent expedition against Ibn Saoud :-

A belief has long been entertained here by the public that the four regiments originally sent in support of Ibn Rashid had been entirly annihilated, and that Ibn Rashid had sustained a serious defeat. This belief has lately been confirmed by the report of two privates who escaped from their regiment at Jabal, and arrived here about ten days ago .

They say that their force experienced great hardships and hunger while en route to and in Jabal, and that a few days after their arrival the Amir (Ibn Rashid) ordered them to prepare for an attack on the enemy .

The Amir placed the Turkish troops and their officers in front, and his own men behind, the combined forces then entered Ibn Saoud's territory, and, without much difficulty or fighting, captured four towns, compelling Ibn Saoud and his followers to retreat .

After that, Ibn Rashid received a letter from one Ibn Bassam in Borreida (members of the Barsam family are found in Bussorah and Syria as large traders), telling him that he had contrived certain plans for the delivery of the plece into his hands, and asking him to go there with his forces as soon as possible .

The Amir was deceived, and started for Borreida, where he was surprised and attacked by Ibn Saoud.

The Amir and his men who were in the rear, escaped with about 300 officers and men, because they knew the roads, but the others remained fighting, and were either killed or captured .

All reports combine in giving an exceedingly pathetic account of the Turks in Ibn Rashid's hands at Jabal; they are said to be severely treated and scantily maintaned .

Two officers-a Mir Alai and a Colonel- were killed by the Amir in Jabal because they refused to obey the Amir's orders, and make a second invasion after their defeat.

The officers here are much incensed against the Amir, but dare not express their feelings.

The Amir has reported the occurrence to Constantinople, and fresh troops have been ordered to support him .

The new expedition will consist of four regiments of infantry, each about 300 strong. Twelve to sixteen guns with men and officers forming one regiment, and perhaps one regiment of mule riders. These six regiments will be raised from Bagdad, Amara, Kerballa, Hilla, and Karkook, and Faizee Pasha, the late acting Wali of Bagdad, will be in commaud .

The Government has sanctioned L T. 5,000 for the necessary expenses but the late Wali has demanded L T. 30,000.

The reserves which have been mobilized are for the purpose of replacing the soldiers.

Faizee Pasha and these troops are to meet at Najaf, and then follow the rout taken by pilgrims to Jabal and Mecca; the transport, will be by means of camels, which will be supplied by the Amir .

Besides these troops it is said that another force will be sent from Hijaz, both to meet at Jabal .

It is said that Faizee pasha is very unwilling to go and has tried to get off this unepoccted call to duty, but has failed to do so. He then asked to be allowed to proceed to Damascus with his troops, and from there, taking six more regiments, proceed to Jabal; this also has been refused.

Faizee Pasha is said to have appointed one Fabad, son of Abdul Mihsin, formerly official Sheikh of the Annaiza tribe, to accompany him, but, on the

request of the Amir, who is on bad terms with Fabad, he was dismissed, and another man has been appointed .

This Fabad is said to be a friend of Ibn Saoud, and he was reappointed to the Chieftainship of the Annaiza tribe in order to win him over; what exaetly was the object is not known .

The Turkish officials, and many others, are looking on these disturbances with the belief that the English are at the bottom of it all .

(٣)

يوميات استخبارات القنصل العام الإنجليزى عن الصراع فى قلب وشرق الجزيرة العربية ٢٠ - ٢٢ ديسمبر ١٩٠٤

مقدمة

من المبادىء التى يجب أن يلتزم بها أى مسئول - بصفة خاصة وأى مواطن بصفة عامة - عدم الإدلاء بأية بيانات أو معلومات لأى شخص قد يشتم من بعيد أو من قريب أن حصوله على بيانات قد يستخدمها لما يعود بالضرر - أيًا كان هذا الضرر - على الدولة التى ينتمى إليها حتى ولو اقتصر الضرر على فرد مواطن واحد .

وتقدم لنا هذه الوثيقة - التى هى إحدى يوميات الاستخبارات التى كان يسجلها القنصل العام البريطانى فى بغداد - نموذجًا لسلوكيات غير سوية لوالى كبير - هو والى بغداد - يحكم ولاية هى من أكثر ولايات الدولة العثمانية أهمية حينذاك . فقد قام الوالى العثمانى بنفسه بزيارة للقنصل العام البريطانى ، وأخذ يحدثه عن أمور عسكرية وسياسية عالية المستوى متعلقة بالولاية التى يحكمها ، وبالحملة التى يقودها إلى نجد وأهداف هذه الحملة ومواقف الحكام فى منطقة الحجاز ونجد وحائل من تلك الحملة .

فقد شرح الوالى العثمانى فى جلسة مطولة الجهات التى تجمع منها القوات العثمانية لتشكيل حملة ضد نجد ، وأنه إذا لم تف ولايات الموصل وبغداد والحجاز بمتطلبات الحملة من المقاتلين فستستدعى قوات من أدنة (أطنة) ، مؤكداً الوالى للقنصل العام أن هذه القوة ستكون من الضخامة لدرجة لا تجدى معها أية مقاومة .

وقال الوالى فى معرض حديثه هذا أن الهدف من الحملة هو إخضاع آل سعود وآل رشيد وأشراف مكة تمامًا للسلطان العثمانى . ونلاحظ أن هذه الحملة كانت فى الغالبية العظمى من الدراسات تركز على أنها موجهة ضد عبد العزيز بن سعود بصفة خاصة ، ودعم عمليات عبد العزيز الرشيد ضد آل سعود ، ونادراً ما نجد من يقول أنها كانت كذلك موجهة ضد شريف مكة وضد آل رشيد .

ونظراً لأن الأزمة بين عبد العزيز آل سعود وآل رشيد كانت غاية فى الحدة والعمق ، فإن الاثنين كانا هدف الحملة العثمانية سواء أكانوا متقاتلين أو غير متقاتلين نظراً لأن المستجدات التى ظهرت على الساحة الدولية وعلى المشرق العربى ، خاصة فيما يتعلق بمشروعى خط حديد برلين بغداد - الكويت - كاظمة أو خظ حديد الأستانة - حلب - دمشق - معان - العقبة - مخا ، تتطلب فرض السيطرة العثمانية بالقوة هناك .

كان شريف مكة يخشى من استرداد عبد العزيز بن سعود للرياض ، ومن نجاحاته المتواصلة منذ تلك الواقعة ، فقد كان للإشراف دور إيجابى قوى فى مقاومة الدولة السعودية الأولى والدولة السعودية الثانية ، ولكن الأهم من ذلك أن عبد العزيز سعود وريث هاتين الدولتين إذ كان الحجاز جزءاً من الدولة السعودية الأولى ، ومطلبًا لآل سعود .

وكان الشريف مستعداً لأن يضع يده فى يد أعداء عبد العزيز بن سعود : الدولة العثمانية وآل رشيد . ولم يكن شريف مكة يدرك حينذاك أن السلطات الحكومية المركزية العثمانية فى استنبول ، كانت قد أصدرت التعليمات إلى ولاة بغداد والبصرة للعمل عى طرد حكام الجزيرة العربية (عبد العزيز بن سعود وعبد العزيز آل الشريد وشريف مكة) من مقار حكمهم .

وحيث أن الإحساء أصبحت تحت إدارة عثمانية ، والحجاز ولاية عثمانية ، واليمن يدور فيها القتال لفرض السيطرة العثمانية عليها ، وحيث أن ابن الرشيد أكثر قيادات المنطقة ميلاً إلى الجانب العثمانى ، فإن عبد العزيز بن سعود فى نجد ومبارك - المتناسق مع عبد العزيز - يعتبران أقوى عقبتين لكى تصبح السلطات العثمانية صاحبة اليد العليا فى الجزيرة العربية باستثناء ما هو جنوب الإحساء وما هو على طول المحميات البريطانية بين عمان واليمن .

وهنا نطرح تساؤلاً ؟ هل لم تكن تلك الزعامات تدرك أن الأتراك العثمانيين يسعون إلى فرض سيطرتهم كاملة على البلاد العربية دون إعطاء العرب - حسبما كان يتطلبه العصر من حيث احترام حق كل شعب فى أن يحكم نفسه بنفسه - فرصة مناسبة للمشاركة فى توجيه أمور بلادهم ، وأنهم كلهم مستهدفون من الجانب التركى / العثمانى ، الأمر الذى يتطلب تضامنًا فيما بينهم إزاء هذا العدوان ؟

لقد كانت لكل زعامة مبرراتها لرؤيته للقضية الواحدة ، فكان أن تضاربت هذه الرؤى بما لم يدع مجالاً حينذاك لتكوين تجمع ما لصالح المنطقة ككل . ومن هنا تنطلق أسئلة تدور حول مفاهيم سياسية واجتماعية عن " الميكروسكوبية السياسية " وعن " القطرية الضيقة " وعن "القطرية " وعن " الإقليمية " وعن " الجامعة " ، وكلها كانت مطروحة على الساحة حينذاك.

وقد كانت هذه الزعامات العربية المتصارعة (آل الصباح - آل سعود - آل الرشيد - الأشراف فى مكة - آل حميد الدين فى اليمن) قد ارتبطت مصائرها بطريقة أو بأخرى بمشروعات السكك الحديدية العالمية عبر المشرق العربى ، وبنظرية الجامعة الإسلامية ، وبنظرية (الوحدوية العربية) ولكل زعامة كانت لها رؤيتها ومنطلقاتها الفكرية إزاء تلك التطورات وإزاء تلك النظريات .

ولم يكن هناك من فرص لكى تتحاوز القيادات مع بعضها فى محاولة للتفهم والتفاهم ، وكان لدى كل قيادة عربية ما يبرر وقفتها ضد مختلف الزعامات العربية الأمر الذى أضفى على المنطقة نوعًا من الفوضى أعطى المبرر للمستعمرين الغربيين لفرض كلمتهم على الجميع برضائهم أو بدون رضائهم .

وهذه الأوضاع تذكرنا بما كانت عليه إيطاليا طوال معظم العصر الوسيط والحديث من حيث أنها كانت مفككة إلى العديد من الملكيات والجمهوريات والدوقيات المستقلة وشبه المستقلة وبعضها كان خاضعًا لقوى من خارج إيطاليا[١] حتى أن مواطن ميلان كان لا يقبل على الإطلاق أن يكون من أهل نابلى ، ناهيك عن أهل صقلية ، ومن هذا القبيل ينظر السعودى للعراقى والشامى والعكس صحيح ، وذلك ما كان ينظر به الشريف إلى آل سعود والعكس صحيح ، وهذا ماكان ينظر به آل رشيد إلى مبارك الصباح والعكس صحيح ... وهكذا .

إن هذه الصورة توحى بأن قائد الحملة الموجهة ضد (نجد) كان يرى أن حملته قادرة على تحقيق هذا الهدف المبدىء (نجد) وأنها قادرة على تحقيق أهداف كامنة فى أذهان المسئولين الأتراك . وبصفة عامة كان لايرى أى حق للعربى لمشاركته فى توجيه أمور الدولة إلا من منطلق (التبعية) .

وأشارت هذه الوثيقة إلى مقدم المستر وليام ويلكوكس William Willcocks إلى العراق، وهو خبير بناء السدود فى الهند وفى مصر [٢]، وهو الذى شيد سد الهندية الذى كان له الفضل فى الارتفاع بالإنتاجية الزراعية فى مناطق جنوب العراق .

---

(١) مثلما كانت سهل لومبارديا تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة .

(٢) كان له دور رئيسى فى تشييد سد أسوان (١٨٩٠ - ١٨٩٤م) .

نص الوثيقة

Mr. Townley to the Marquess of Lansdowne. - (Received January 30.)

(No. 27)

Sir, Constatinople, January 24, 1905

I HAVE the honour to forward to your Lordship herewith copy of a despatch from His Majesty's Consul-General at Bagdad, transmiting a copy of his weekly Intelligence Report to the Government of India, dealing with the state of affairs in the Nejd, the visit of Sir William Willcocks, and other matters.

I have, &c.

(Signed) WALTER TOWNLEY

Inclosure 1 in No 55 .

Consul-General Newmarch to Mr. Townley

(No.81)

Sir, Bagdad, December 26, 1904

I HAVE the honour to submit for your information a copy of my diary for the week ending the 26th instant, sent to the Government of India in the Foreign Department .

I have, & c.

(Singned) L. S. NEWMARCH, Major

Inclosure 2 in No. 55

Diary of Political intelligence sent by Consul-General Newmarch to Government of India

December 20 - On the 20th December the late Vali of Bagdad paid me a long private visit. He is going to command the expedition which is being sent by the Turks into the region known as Kasim, and he told me that his

total force will consist of about 7,000 men, of whom about half are coming from Medina, some from Yemen, and the rest from the Bagdad Vilayet. If these do not suffice, troops will, he said be brought from the Vilayet of Adana. He said that, on hearing of this expedition, both Ibn Rashid and Ibn Saoud had written to him to say that they wished to make peace and would accept the Sultan's authority. He said he did not expect there would be any serious fighting, because his force would be too strong for any opposition. When I asked him how he proposed to feed so large a force, he repliced, in a most easy-going way, that he supposed they would live on biscuits or tinned foods; but he added that they might occasionaily get mutton, becaus there are a good many sheep in that country, wich he said, was by no means so barren as generally supposed. He said the place had some perennial streams coming from the Jabal Shammar, and that in the neighbourhood of these there was some, and might be much more, cultivation. Also, he said there were several wells and oases in the neighbouring desert.

He was, and has always been most friendly towards me as far as his limited powers and the suspicion of the Turks would allow. He stayed for along time, and we parted in the most cordial manner .

December 22 - On the 22nd December, 1904, I paid a visit to the new Vali, accompanied by Sir William Willcocks, who presented to him a letter of introduction from the Minister of the Interior at Constantinople. The Vali promised to give Sir William Willcocks every assistance, and Sir William promised to tell the Vali on his return what he had seen .

Sir William Willcocks intends going for about ten days up to Samara by the right bank of the Euphrates, and to return via the bed of the Nahrwan Canal to Bakuba and Bagdad. He later proposes to go to Hillah to see the canals in that quarter . Six humdred infantry (Redifs or reserves) left to day by the Turkish steamer "Mosul" on their way down the river. It is said that

300 of these men are going to the Muntafik country, and 300 to be st: at Bussorah. These troops have recently arrived from Mosul and Kirk

I have heard it said here that the Sultan is pressing on the construc the Hedjaz Railway in order to secure a terminus at the head of the (Akaba, and that the ultimate terminus of the railway will be at Mocha

This rumour may be worth notice in connection with the efforts n ing made to strengthen the Turkish authority and position in Kas Central Arabia.

December 23- The Consular Agent at Mosul reports as follows : -

" On Sunday, 11th December, the Redifs (reseve troops) whic been collcted from this Vilayet (Mosul) left for Bagdad in four raft are about 300 in number. It is said that about forty of them deserted ond day after their departure, because the Government had not s them with bedding and clothing in this winter season. Some say th: reserves are going to join the fight which is now going on betw Saoud and Ibn Rashid; others say that they are going against the S Mecca, who has disobeyed the Government and destroyed the Hedj: way, and that now the Government will have to overcome the Sharif'

(٤)

رسالة من المركيز لانسدون[١] إلى المستر والتر تويئلى
٤ يناير ١٩٠٥

مقدمة

كانت بريطانيا خلال القرن التاسع عشر قد حققت لها فى العراق العثمانى وجوداً سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا قويًا لا تنافسه فيه أية دولة أوربية كبرى أخرى ، حتى أن مكانة ألمانيا - الطامحة فى العراق وذات التأثير القوى على صديقتها الدولة العثمانية - كانت تسعى جاهدة - ودون جدوى - أن توهن التفوق البريطانى فى العراق ، وبصفة خاصة فى منطقة شط العرب حتى الكويت التى كانت تسعى كل من الدولة العثمانية وألمانيا إلى اتخاذها نهاية خط حديد برلين - بغداد الذى نجحت بريطانيا فى الحيلولة دون وصوله إلى منفذه الطبيعى عند كاظمة الكويت بوصفها تحت الحماية البريطانية بطلب ورضا شيخها مبارك الصباح فى ١٨٩٩م .

وكانت هناك تحركات عديدة لتقوية النفوذ البريطانى فى منطقة الخليج وفى العراق وفارس، وهى تحركات كانت بتوجيه أو رضا الحكومة المركزية البريطانية فى لندن ، وبتوجيه سلطات الاحتلال البريطانى فى الهند .

فمنذ مطلع القرن التاسع عشر كان للأسطول التابع لشركة الهند الشرقية البريطانية ثم لحكومة الهند البريطانية تواجد مستمر وقوى فى الخليج العربى ، بل كانت لهذا الأسطول اليد العليا فى الخليج ، وكانت القدرات البحرية العثمانية ، والفارسية والعمانية أعجز من أن تتصدى لهذا التفوق البحرى الإنجليزى . وقد استطاع هذا التفوق البحرى الإنجليزى أن يحول دون قيام قطع الأسطول العثمانى بالدور الذى كانت يتطلع إليه ، فقد كان التواجد البحرى العسكرى العثمانى مظهريًا فى معظم الأزمات التى تواجهت فيه قطع بحرية عثمانية مع قطع إنجليزية ، وبالإضافة إلى ذلك كانت قطع الأسطول الإنجليزى مسيطرة على الملاحة فى شط

---

(١) وزير خارجية بريطانيا .

العرب وفى نهرى دجلة والفرات ، ومنعت قيام السلطات العثمانية بتحصين شواطئ شط العرب خاصة عند الفاو فى مدخله .

إن هذا التفوق البحرى الإنجليزى فى الخليج كان يعطى فرصًا واسعة لحكومة الهند البريطانية كى تقوم بعمليات إنزال إلى البر لخبراء فى مسح المنطقة أو للقيام بدعم مشيخة أو إمامة أو إمارة متضامنة مع الإنجليز . وكذلك القيام بمظاهرات بحرية عسكرية للضغط على من يتجه إلى وضع مصالح بلاده فوق المصلحة الإنجليزية .

ومن بين هذه التحركات ، ما قامت به سلطات الاحتلال البريطانى فى الهند من إرسال (حملة محدودة) مكونة من حوالى أربع سفن حربية صغيرة إلى الساحل على مقربة من مدينة (الزبير) الواقعة إلى الجنوب من البصرة ومنها نزل إلى البر طاقم من الضباط ضربوا خيامهم على بعد ساعتين من الظفير .

وصلت تلك الأنباء إلى الحكومة العثمانية فى الأستانة أن هؤلاء الضباط الإنجليز يزمعون التحرك صوب بغداد بعد استراحة قصيرة . ليس هذا فقط ، بل وأنهم قد يقومون بمهمة سياسية غاية فى الخطورة ، وهى شد الرحال إلى نجد إلى الرياض لإقناع عبد العزيز بن سعود بأن الفرصة مواتية له للقيام ضد الدولة العثمانية ، ولأن يقبل أن يكون تحت الحماية البريطانية .

إننا لا نستبعد مثل هذه النوايا لدى المسئولين الإنجليز ، ونرى أنه كان لدى السلطات العثمانية العذر كل العذر فى أن تتوقع وقوع مثل هذه الأمور ، وما حدث فى الكويت من حماية بريطانية عليها لم يمض عليه سوى سنوات خمس فقط ، ولا يستبعد أن يتكرر ذلك فى أية بقعة يتهيأ المناخ فيها لوضع هذا المكان أو ذاك تحت الحماية البريطانية . ولا شك أن إقامة آل سعود فى المنفى فى الكويت ، والانطلاقة الناجحة لعبد العزيز بن سعود من الكويت لاسترداد عاصمته ، كل هذا كان كفيلاً بأن يثير مخاوف الدولة العثمانية من أية تحركات بريطانية نحو نجد آل سعود .

والتراكمات التاريخية فى العلاقات بين آل سعود والدولة العثمانية تؤكد أنه مهما ظهرت من فرص للتقارب بينهما فإن عوامل الفرقة أقوى بكثير من عوامل التقارب . الأمر الذى يضاعف من مخاوف السلطات العثمانية من انتهاز الإنجليز أو عبد العزيز هذه الفرصة لإحداث تقارب على حساب الدولة العثمانية .

وكان أن بعث السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى إلى سفيره موصورص لدى بلاط ملك الإنجليز فى لندن ليستفسر عن طبيعة ومغزى تلك التحركات الخطرة فى منطقة لا جدال فى أنها تابعة تبعية مباشرة وأكيده للسلطان من وجهة نظره .

وبعد اللقاء الذى جرى بين السفير العثمانى ووزير خارجية بريطانيا ، بعث الأخير إلى القائم بالأعمال الإنجليزى فى الأستانة / استنبول بملخص عن المسألة قال فيه أنه - أى لانسدون - ليس لديه أية معلومات عن تلك التحركات ، ووصف الفكرة القائلة بأن بريطانيا تسعى إلى تأسيس محمية بريطانية فى داخل الجزيرة العربية ، وصفها بأنها فكرة (سخيفة) .

والحقيقة هى أن الحكومة البريطانية فى لندن كانت ترى أن ما يجرى فى قلب الجزيرة العربية من أحداث لا يتطلب من جانب الحكومة البريطانية إلا المراقبة دون " التدخل " الذى يجب - من وجهة نظرها - أن يقتصر على ما يجرى على طول السواحل الخليجية ، أو على ما قد يؤثر على الوضعية الراهنة ، وكانت وضعيته لصالح الإنجليز . كذلك يتدخل الإنجليز فيما يقع من أحداث داخلية إذا هددت حالة الوضعية الراهنة على طول السواحل أو على صفحات مياه الخليج .

إن هذه الأحداث ، وهذه الوثيقة تثير مسألة كثيراً ما طرحها المؤرخون الإنجليز ورددها جمهرة المؤرخين فى الشرق والغرب عند تناولهم مثل هذه الأحداث التى توحى بأن هناك سياسة تنفذها سلطات الاحتلال الإنجليزى فى الهند " غير متناسقة " مع السياسة التى تتبناها الحكومة المركزية فى لندن .

ونعنى بذلك تشبيه الإمبراطورية البريطانية بعربة يجرها حصانان أحدهما من أمام والثانى من خلف كل منهما يشدها فى اتجاه مضاد للآخر . وتكاد هذه الوثيقة أن تقدم لنا دليلاً عن صحة هذا التشبيه ، ولكن الحقيقة على غير هذا . فالعربة (الإمبراطورية البريطانية) لها فعلاً حصانان أحدهما من أمام (حكومة لندن) والآخر من الخلف أى (حكومة الهند البريطانية) ، إلا أن الحكومتين - من وجهة نظرنا - تدفعان قدمًا العربة إلى الأمام وتحققان المصالح البريطانية .

فالأوربيون لهم أهداف بعيدة تسعى الحكومة والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية إلى تحقيقها كل بأسلوبها الذى تفضله ، ومن هنا كانت الاستراتيجية واحدة وإنما الخلاف فى التكتيك المؤدى إلى الهدف الواحد البعيد .

وأعطى ذلك الفرصة لأن يقدم أفراد أو جماعات أو مؤسسات على استباق الحوادث ، والإقدام على العمل على تحقيق الهدف المنشود دون أن تحصل من الحكومة أو من الجهات الرسمية على تصريح بذلك ، وإن كان من قام بمثل هذه الخطوة على يقين - فى معظم الحالات من أن السلطات ستغض الطرف عنه ويقوم بمحاولته تحت مسئوليته ودون إحراج للحكومة ، فإن هو نجح فى (مغامرته) استثمرت الحكومة هذا النجاح ، وأن هو فشل فى تحقيق الهدف فليتحمل مسئولية قيامه بما لا يتفق مع سياسات دولته .

وتقدم لنا هذه الوثيقة نوعًا من العمليات التى قام بها ضباط من حكومة الهند على أرض عثمانية دون أن يكون لدى وزير الخارجية أى علم بها ولا بأهدافهم . وحين ذاك كانت الأنباء تصل إلى المسئول عن اتخاذ قرار بشأنها بعد مرور أسبوع أو أسبوعين فى بعض الأحيان ، يكون خلالها قد تمت تحركات على أرض المشكلة تفيد منها الحكومة (البريطانية) فى تحقيق أهدافها . ونعنى بذلك إمكانية قيام عدد من الضباط الإنجليز بدعم حركة عبد العزيز بن سعود المناهضة للدولة العثمانية ، فكل عمل ضد الدولة العثمانية فى تلك الجهات يفيد بطريقة أو بأخرى المصالح الإمبراطورية البريطانية .

نص الوثيقة

The Marquess of Lansdowne to Mr. Townley

(NO.12)

Sir, Foreign Office, January 4, 1905

THE Turkish Ambassador made to me to day a statement to the following effect :-

The Turish Government were informed that besieds the " Lawrence" and " Sphinx" now at Bussorah four other British gun-boats had arrived in the roadstead of Zobeir, two hours distance- from Bussorah, and that the officials on board had erected tents outside the town leaving for Bagdad after aninterval. Their names were stated by the Vali of Bussorah to be Mr. Linsyn, a civil official in the Punjab, Captain Gabried, of the Indian cavalry and Kiassir, British Agent at Bahrein. They were believed to have the intention of proceeding to Nejd, with the object of persuading Ibn Saoud to rise in rebellion against the Imperial Government and accept British protection .

Musurus Pasha was instructed to call attention to these incidents, in the hope that an end might be put to a state of affairs which was not consistent with the cordial and friendly relations existing between the two countries .

I said that I had not heard of the alleged movement of British ships, but that the report that His Majesty's Government contemplated the establishment of a British Protectorate in the interior of Arabia was ridiculous, and I could not suppose that anyone would suspect us of such designs .

I am, & c.

(Signed) LANSDOWNE

(٥)

رسالة من والتر تويتلى
إلى الماركيز لانسدون
٢ يناير ١٩٠٥

مقدمة

تباحث عبد العزيز بن سعود مع أبيه عبد الرحمن حول أنجح الأساليب لمواجهة هذه الأزمة الطاحنة التى تواجه الدولة السعودية الثالثة وهى لاتزال فى المهد . وتوصلا إلى تحديد أولويات :

١ - الحفاظ على ما تحت يد عبد العزيز على الأقل (الرياض / القصيم) بالاتفاق مع السلطات العثمانية وبذلك يكونوا قد حققوا الشرعية السعودية وتدعمها الشرعية العثمانية .

٢ - أن تكون الرياض والقصيم ملكية خالصة لآل سعود لا يتدخل فى شئونها أحد .

٣ - امتناع العثمانيين عن توجيه قوات عسكرية ضد الرياض والقصيم .

وفى مقابل هذا كله يعلن عبد الرحمن - والد عبد العزيز - الولاء للسلطان العثمانى . وهو بذلك يكون قد قبل " بالسيادة " الاسمية بينما آل سعود يصبحون حكامًا لهم مطلق التصرف فى إدارة شئونهم .

ويمكن وصف هذه الحالة بأنها استقلال تحت السيادة الأسمية للسلطان العثمانى :

Independent Under the Nominal Sovereignty of the Ottoman Sultan .

فهو استقلال لا يرقى إلى الاستقلال الكامل ، ولا هو استقلال ذاتى كامل ، وإنما هو بين هذا وذاك ، أما لدى عبد العزيز بن سعود ، فإنه كان رافضًا أن يكون تحت سيادة عثمانية حتى لو كانت (اسمية) . وإنما كان يستخدم هو ووالده هذه المصطلحات سعيًا إلى الهدف الذى يسعون إليه وهو إقامة الدولة السعودية الثالثة مستقلة عن كافة المتطلعين إلى سيطرة ما عليها .

لقد كانت الأحداث القوية التى وقعت حول الكويت خلال أزمة إعلانها أنها (تحت الحماية البريطانية) ١٨٩٩ وما أعقب ذلك من محاولات عثمانية فاشلة لفرض سيطرتها على

الكويت سواء مباشرة باستخدام قواتها أو باستخدام قوة ابن الرشيد الضاربة ، وانتصار ابن الرشيد في موقعة (الصريف) على الكويتين ، كان كل هذا يؤذن بنمو كبير متوقع لليد العليا العثمانية ولابن رشيد على المنطقة ، مما يهدد الكيانات الناشئة هناك .

فعندما علمت مشيخة قطر بأن الدولة العثمانية تعد قوات للزحف على الرياض ، وتدعم عودة ابن الرشيد بالقوة إليها ، بعث شيخها (إى شيخ قطر) بتحذير واضح إلى السلطان العثمانى من مغبة إصراره على تنفيذ هذه الحملة حيث أن ابن رشيد شخصية مرفوضة فى قطر وينظر إليه أهل قطر بعين العداء .

فلماذا كان شيخ قطر وأهاليها ضد تحركات الدولة العثمانية العسكرية ضد نجد ، ولماذا كانوا كذلك ضد ابن الرشيد ؟ .

لاشك أن (شيخ قطر) كان يدرك تمامًا أن حركة عبد العزيز بن سعود بعد نكبة أمير الكويت فى (الصريف) ، كان يدرك تمامًا أن هذه الحركة التى أدت إلى استيلائه على الرياض وعلى معظم نجد قد هدت من قدرات العثمانيين وآل رشيد فى متابعة الضغط على مشايخ الخليج لإرغامهم على الخضوع للسلطان ، إذ شغلت العثمانيين وآل رشيد عن مشايخ الخليج وعن قطر بالذات التى هى على امتداد الإحساء الواقعة فعلاً تحت الحكم المباشر العثمانى . والتى كانت الدولة العثمانية تسعى إلى السيطرة عليها (أى على قطر) منذ حوالى ربع قرن من الزمان أيام أن كان والى العراق مدحت باشا (١٨٦٩ - ١٨٧٢) الذى قاد حملة كبرى على الخليج حينذاك .

واستخدم شيخ قطر الأسلوب الذى كان العثمانيون يخشوه كل الخشية ألا وهو أن يقدم شيوخ قطر - تحت وطأة الضغط العثمانى - على أن يضعوا أنفسهم تحت الحماية البريطانية ، على نحو ما فعلته الكويت فى ١٨٩٩ لردع الخطر العثمانى - الألمانى عليها حينذاك .

ومن ناحية أخرى ، يكون شيخ قطر قد وضع بذلك القوات العثمانية فى الإحساء العثمانية فى موقف شديد الضعف لأنها أصبحت تعيش فى شبه حصار غير معلن قوامه الكويت من الشمال وقطر من الجنوب ونجد عبد العزيز آل سعود من الغرب وهو وضع يعتبر من الناحية الاستراتيجية شديد الحروجة .

وإذا أخذنا فى الاعتبار أن الأتراك العثمانيين كانوا بصفة عامة لا يثقون فى العرب ولا فى شيوخ العرب بصفة خاصة ، فإن آل رشيد - المعتمدين على العثمانيين اعتماداً كبيراً - كانوا هم فى نظر العثمانيين مجرد أدوات لتحقيق أهدافهم ، وأن آل رشيد ينظرون إلى

العثمانيين – على نحو ما يتوقعونه من تخلى آل رشيد عنهم يومًا ما – بنفس المنظار ، أى فى انتظار اللحظة التى يتخلصون هم فيها من التوجيهات العثمانية الموجهة إليهم . والتى كانت فى أكثر الأحيان تضع أولوية للأهداف العثمانية على أهداف آل رشيد .

وقد وصف مسئول بريطانى فى الخليج وضعية قطر السياسية إزاء السلطات العثمانية فقال أن قطر يحكمها قائمقام شبه مستقل ، ولقد خلعت السلطات العثمانية فعلاً على شيخ قطر لقب قائمقام وهو لقب تركى لوظيفة عسكرية إدارية(١) .

ومعنى هذا أن شيخ قطر كان من حيث الشرعية الدولية موظفًا كبيراً عثمانيًا يدير شئون قطر بتفويض من السلطان العثمانى . وقال هذا المسئول البريطانى أن شيخ قطر كان بمثابة قائمقام على قطر ، وليس مستقلاً استقلالاً كاملاً .

على أن هذه الوضعية السياسية يمكن أن توصف بأنها " استقلال ذاتى كامل " تحت Full Autonomy Under the Ottoman Sovereignty .

وهذه الوضعية ماكانت لتمنع شيخ قطر من تنفيذ تهديده بأن يضع نفسه تحت الحماية البريطانية . فقد كان شيخ الكويت فى وضعية سياسية مشابهة عندما عقد اتفاقية مع الإنجليز ووضع نفسه تحت الحماية البريطانية .

وكان الحكم العثمانى المباشر فى الإحساء يتسم بالضعف الشديد إن لم يكن مهلهلاً . فمن الناحية الجيوبوليتيكية كانت الاحساء متطرفة تقع فى أشد الأطراف بعداً عن الحكومة المركزية العثمانية فى الأستانة / استنبول . ومن ثم كانت من هذه الناحية الجيوبوليتيكية طرفًا معرضًا للاختراق من جانب الجوار المعادى للوجود العثمانى ، وهو اختراق تهيئة عوامل جغرافية تاريخية واجتماعية واستراتيجية فضلاً عن العوامل الاقتصادية .

فمن الناحية الجغرافية ، فإن المنطقة كانت تفتقر بشدة إلى أى مفهوم من مفاهيم الحدود سواء أكانت خط حدود أو مناطق حدودية Boundary Line Or Frontier Line فهى منطقة مفتوحة على اتساع مع المشيخات المجاورة لها : مشيخة الكويت ، مشيخة قطر وأخيراً دولة عبد العزيز بن سعود فى نجد .

---

(١) كان هذا اللقب من الرتب العسكرية فى الجيش المصرى .

ومن الناحية الاجتماعية ، فإن التركيب البشرى للإحساء هو من التركيبات القبلية العربية التى تغطى كل المشرق العربى من حدود هضبة الأناضول وجبال زاجروس وشواطىء البحر الأحمر والبحر العربى والخليج العربى ، الأمر الذى يجعل القوات العثمانية - خاصة فى الإحساء - وكأنها (نقطة) فى محيط عربى ، وبالأحرى فى قلب أراضى للقبائل العربية. ومن المعروف أن ولاء العربى - فى مثل هذه المجتمعات القبلية - هو ولاء للقبيلة ولشيخ القبيلة ، وهو أمر يجعل الولاء لحاكم (عسكرى) تركى عثمانى أكثر رفضًا لدى العربى القبلى .

ومن الناحية التاريخية ، فإن الإحساء حتى ١٨٧٠ كانت جزءًا من الدولتين السعوديتين الأولى والثانية . ويرى آل سعود أنها فقدت منهم بفعل خيانة الأتراك العثمانيين حكام العراق وعلى رأسهم الوالى مدحت باشا إذ بدلاً من أن يدعم مطالب عبد الله بن فيصل آل سعود فى أن يتولى حكم البلاد التابعة لآل سعود ضد أخيه سعود الذى كان يتلقى مساعدات غير باشرة من الإنجليز فى الخليج ، أنه بدلاً من أن يدعموا عبد الله ، انتهز الأتراك العثمانيين رصة الحرب الأسرية التى وقعت بين أولاد الإمام فيصل فاستولوا على الإحساء وشجعوا آل الرشيد فى الاستيلاء على الرياض بعد ذلك بحوالى عشرين سنة .

ومن ثم فإن تضامن شيخ قطر وشيخ الكويت مع عبد العزيز بن سعود هو تضامن يشمل فيما يشمله من معانى تضامن بين المشايخ العرب فى المنطقة ضد السيطرة العثمانية القادمة مجدداً إلى بلادهم بطريقة أو بأخرى ، دون وجه حق . على اعتبار أن وجود الأتراك فى الإحساء مسألة (اغتصاب) وليست مسألة حق . ومن ثم فإن العامل التاريخى والاجتماعى كان يرجح لدى مشايخ العرب هناك وحينذاك أن لا تكون تحت حكم تركى عثمانى وإن استولى عليها (عربى) فإن الحق التاريخى يزكى آل سعود من الناحية التاريخية .

حقيقة أن الزعامات العربية وخاصة الأسرات الحاكمة العربية كانت لا ترغب فى أن يتوسع عبد العزيز أكثر من اللازم فيصبح هو الآخر قوة ضاغطة على الأسرات الحاكمة فى الكويت وقطر وعلى طول الساحل جنوبى قطر حتى عمان ، حيث أن ذلك يمكن أن يؤدى إلى اختلال فى التوازنات قد يضع هذه الأسرات الحاكمة فى مواقف حرجة ، إلا أن عبد العزيز آل سعود حينذاك (١٩٠٤ / ١٩٠٥) كان لايزال فى السنة الثالثة من سنى حكمه ، وكان لايزال فى حاجة إلى تثبيت أقدامه فى نجد نفسها ، ومن ثم كان لا يشكل ضغطًا شديداً على الإحساء على الأقل فى المستقبل القريب . ولذلك كانت مكانة الإحساء على الخريطة السياسية حينذاك

أقرب إلى أن تكون بلاداً عربية تنتظر خروج الأتراك منها أن عاجلاً أو آجلاً حسبما تتطور إليه الأمور هناك .

فضلاً عن ذلك الإحساء لم تكن تدعم الوجود التركى العثمانى فيها ، بل أن وضعيتها الجغرافية والاجتماعية والسياسية تضعها فى مصاف أولى البلاد المرشحة للخروج من تحت عباءة الأتراك العثمانيين .

ومن الناحية الاستراتيجية ، فقد كانت الإحساء تمثل منطقة فراغ سياسى أكثر من أية منطقة فى شرق الجزيرة العربية ، فلم تظهر فيها أسرة حاكمة محلية قوية على نحو ما كان عليه فى الغالبية العظمى من البلاد العربية حينذاك إذ كان الوجود التركى العثمانى هو الذى يمنع ظهور مثل هذه الأسرة من داخل الإحساء أو أن تفرض أسرة من خارجه حكمها عليه . وحيث أن هذه الوضعية السياسية غير المنسجمة مع الوضعية السياسية العامة للمنطقة ، كان وقوع تحولات جذرية فى الإحساء ضد الحكم العثمانى أمراً ترشحه تطلعات الأسرات الحاكمة فى المنطقة نحو الإحساء . وحيث أن قطر والبحرين والكويت حتى ذلك الوقت كانت مشيخات أضعف من أن تقدم على توسعات أرضية فى الإحساء ، فإن عبد العزيز بن سعود كان هو الأقدر على أن يضع الإحساء تحت حكم أسرة عربية (آل سعود) .

وكشفت لنا هذه الوثيقة عن مدى الضعف الذى كان عليه الحكم التركى العثمانى للإحساء. فقد كان متصرف الإحساء لايتورع عن بيع المؤن لابن سعود ، فى نفس الوقت الذى كانت فيه دولته ، الدولة العثمانية ، تجهز جيشًا للزحف على نجد . ومن المعروف أن دفع الرواتب للجند العثمانى فى تلك البلاد الواقعة على أطراف الدولة العثمانية كان مضطربًا بل كان شديد الاضطراب . الأمر الذى كان يدفع بعض الضباط إلى القيام بعمليات تجارية لسد احتياجاتهم اليومية . وكان متصرف الإحساء – على الأقل – من هذا النوع وتعرض لمثل تلك المشكلة . ولكن هذا كان مرفوضًا كل الرفض فى مثل هذه الظروف من الجهاز الإدارى والعسكرى العثمانى . ولذلك صدرت الأوامر بعزل المتصرف . فإن مثل هذه الوضعية كفيلة بأن تغرى المشايخ العرب هناك إلى التحرك لطرد الأتراك العثمانيين من الإحساء .

والواقع أن الإدارة المدنية والعسكرية العثمانية كانت تتسم بهذا الخلل حتى خلال القرن التاسع عشر والعشرين اللذين شاهدا حركة إصلاح واسعة النطاق ، ولدينا مثال قوى فى أربعينيات القرن التاسع عشر قدمته لنا الرسائل التى كان يبعث بها خورشيد باشا قائد حملة محمد على على قلب شبه الجزيرة ١٨٣٧ / ١٨٤٠ . إذ أنه لما بلغ الإحساء وجد نفسه فى

حاجة ماسة إلى المواد الغذائية وإلى الأموال فاشترى المواد الغذائية من البصرة واقترض من الكويت ، مع أن البصرة كانت حينذاك تابعة مباشرة للدولة العثمانية .

ومن ناحية أخرى ، كانت تجربة الاجتياح المصرى لشبه الجزيرة العربية مرتين فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، كانت هاتين التجربتين تبينان بوضوح ما صادفته القوات المصرية من متاعب جسيمة خلال العمليات العسكرية ، سواء تلك التى كانت تحت قيادة إبراهيم باشا أو خورشيد . ومن ثم فإن ذلك التاريخ يعطى للعثمانيين صورة غير مشجعة لحملة تركية عثمانية إلى قلب الجزيرة العربية .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن القوات العثمانية كانت مشغولة على طول عدة جبهات متعددة عدة ، وأن شبه الجزيرة العربية نفسه كانت تدور فيه رحى القتال بشدة فى اليمن لتبين لنا الحملة العثمانية تعتبر مغامرة أكثر منها حملة .

لمستر موناهان Monahan - القائم بأعمال القنصل البريطانى فى البصرة - إلى مكة كان متخوفًا من نتائج الخطوة الجريئة التى قام بها عبد العزيز بن سعود على الرياض ومساعيه الناجحة للسيطرة على نجد . وكان شريف مكة يدرك تمامًا أن العزيز بن سعود إلى الرياض تعنى عودة المواجهات بين آل سعود والأشراف ، تلك ، التى بدأت منذ الأيام المبكرة للدولة السعودية الأولى . فمن الناحية الاستراتيجية حكم (نجد) يتطلع إلى الإحساء والحجاز ، ومن الناحية التاريخية فإن عبد لعزيز بن ستردادە للرياض لن يتوانى عن العمل من أجل السيطرة على ما يمكن السيطرة عليه التى كانت يومًا تحت حكم آل سعود . ولقد كان الحجاز منذ ١٨٠٣ / ١٨٠٤ تحت السعودية حتى تخلى عنه خلال الوجود المصرى فى الحجاز ، ثم أصبحت تحت حكم ، فى مكة فى نفس الوقت الذى كان يوجد فى (جدة) والى عثمانى على الحجاز .

ـت وضعية شريف مكة مهزوزة بسبب وجود ذلك الوالى التركى فى جدة ، وبسبب ؟ على اليمن بين القوات العثمانية وبيت الإمامة فى اليمن (آل حميد الدين) . وبصفة كانت هذه الظروف تشير على شريف مكة أن يتخذ موقفًا عدائيًا من عبد العزيز بن ، وأن يكون هناك تفاهم وتعاون بين الشريف وحكام المنطقة التابعين للسلطان العثمانى رأسهم حينذاك : الأشراف حكام مكة ، وابن الرشيد حاكم حائل وأشد أعداء عبد العزيز ، وهوموقف يذكرنا بذلك التحالف الذى عقد بين شريف ومكة وبنو خالد ضد آل سعود وضح أنهم - أى آل سعود - أسسوا لأنفسهم دولة عاصمتها (الدرعية) .

نص الوثيقة

No. 12

Mr. Townley To Marquess of Lansdowne - (Received January 9)

(No. 2. Confidential.)

My Lord, Constantinople, January 2, 1905.

WITH reference to my telegram No 1 of to day's date, informing your Lordship that His Majesty's Acting Consul at Bussorah has telegraphed that a battalion of troops from that place have been dispatched to Nejd via Bagdad, I have the honour to state that this report from Mr. Monahan confirms the latest information that has reached me on this subject.

I am assured on very good authority that, after long deliberations at the Palace, the Sultan has finally decided upon an activer policy in the Nejd direction, and has ordered that a new and more powerful expedition shall be prepared without loss of time, for the ostensible purpose of assisting Ibn Rashid to crush Ibn Saoud and his Wahabi followers .

The ulterior intention is that the expedition shall, when it has achieved its object, permanently occupy all the princpal places, both on the coast and in the interior of the peninsula, after removing all the local Chiefs to Coustantinople .

That the expedition is to be conducted on a large scale is shown by the fact that, Ibrahim Pasha, of the Milli, has been ordered by telegraph to collect and forward to Bagdad 6,000 camels to serve for the transport of the stores and ammunition .

Mr. Monahan has also infomed me by telegram dated the 29th December, 1904, that the acting Vali of Bussorah invited Ibn Saoud to that place in a friendly letter some two months ago, and that, about a month ago, Ibn Saoud's father sent a telegram to the Sultan (possibly the communication contained in my despatch No. 862, Secret, of the 8th November, 1904) pro-

fessing loyalty, but claiming ownership of Kassim, and deprecating the dispateh of troops, which would cease bloodshed.

Mr. Monahan adds that the semi-independent Kaimakam of Katr also sent a telegram in the same sense to the Sultan about the same time, in which he said that the people of Katr were hostile to Ibn Rahid, and that if Turkish troops were sent, the country would become like Koweit.

The Mutessarif of Hassa, Faik Pasha, was dismissed, Mr. Monahan reports, some Five or six weeks ago, on the secore, it is said, that he was sending provisions to Ibn Saoud. It is announced that Nejdib Bey, an ex-Mutessarif of El Bassan, has been appointed to replace him.

I have very good reason to believe that it was fully intended, up to a very few days ago, to accept the submission whidh Ibn Saoud had made by telegram addressed direct to the Sultan, and that instructions were sent to Bagdad and Bussorah to the effect that his submission had been accepeted, and that the preparations for the military expedition against him were to be discontinued. I do not know what has caused the Sultan so suddenly change his mind, and it would be no matter for surprise should His Majesty again listen to wiser counsels. Well informed military circles are fully alive to the magnitude of the task to be undertaken, and are well aware of the difficulties to be overcome in dispatching and maintaining a large military force in the inhospitable regions from which the victorious Egyptian expedition had to depart in 1819.

The Turkish Government have, moreover, a formidable undertaking before them in the suppression of the revolt in the Yemen, which would appear, from all accounts, to be assuming such alarming proportions that it will tax all their available reasources to cope with it.

A rumour is current here that Sana'a has fallen into the hands of the rebels, but I have no confirmation of such an event from His Majesty's

Vice-Consul at Hodeida, though, as I have had the honour to inform your Lordship in a previous despatch, the capital of the province has for some weeks been cut off from communication with the coast.

I have, since writing the above, received further information, which confirms the report that the Ottoman Government have decided to send an expedition against Ibn Saoud. My informant tells me that it has been represented to the Sultan by the Amir of Mecca that the aggressions of Ibn Saoud are due solely to foreign instigation, and that, unless they are promptly checked, the Wahabi encroachments may even extend as far as Mecca . It is reported that Marshal Feizi Pasha has been put at the head of the expedition which is to start from Bagdad shortly if it has not already done so. It is, perhaps, worth noting that in all the communications which reach me about Ibn Saoud, the name of Mubarak-es-Sabah, Sheikh of Koweit, is always associated with that of the Wahabi Chief.

I have, & c

(Signed) WALTER TOWNLEY

(٦)

رسالة من توينلى إلى لانسدون
١٠ يناير ١٩٠٥

مقدمة

تتناول هذه الوثيقة موضوعات متعلقة بالحملة العثمانية المزمع إرسالها ضد ابن سعود ، ودعم ابن الرشيد فى صراعه معه على اليد العليا فى نجد وما هو وراء نجد . وقدمت لنا أسلوب جمع دواب الحمل والجر التى تحتاجها حملة من المفروض أن تعبر الصحراء إلى الرياض، فكانت الجمال هى أهم وسيلة لذلك ، ولذلك عملوا على جمعها بصفة رئيسية من القبائل العربية ، وكانت عشيرة شمر الجربا واحدة من أهم القبائل التى عملت السلطات لعثمانية على الحصول على قدر من جمالها للحملة . وكانت العلاقات بين عشائر شمر الجربا لسلطات الحاكمة العثمانية - مثلها مثل علاقات القبائل الأخرى - تقوم على أساس ستخدام تلك السلطات قدراتها العسكرية لجمع الضرائب والمساهمات ، وكانت العشائر فى الجانب الآخر تستخدم كافة الأساليب لدفع أدنى مبلغ ممكن حتى لو أدى ذلك إلى تمردات وما أكثرها بين عشائر شمر الجربا . حقيقة أن مساهمة زعيم هذه القبائل (عيسى بن فرحان) كان بحوالى مائة جمل ، وهو مقدار محدود . ولكن الملاحظ أن (عيسى) هذا كان محبوسًا ، ومع ذلك تعهد بتقديم هذا القدر .

والمعروف أن فرحان (والد عيسى) هو الزعيم الشمرى الذى خلف صفوق الفارس الجربا فى قيادة ومشيخة شمر الجربا . وكان العثمانيون قد اختطوا خطة لعمليات (غسيل المخ) التى تهدف إلى جعل الولاء للسلطان والخليفة العثمانى قبل الولاء للعشيرة . وقد عاش فرحان مدة فى الأستانة / استنبول ، ثم عاد إلى العراق وقد تزوج (تركية) واتخذ طريقة حياة مأخوذة عن الأتراك وبلغ الأمر أن انشقت عشائر شمر الجربا بين دوى الميول التركية من وجهة والقيادات البدوية المحافظة على البدوية من جهة أخرى ، وكان يتزعم هذا الجناح أولاد صفوق من عمشة[١] وهم أشد على الأتراك من غيرهم.

---

(١) غالبًا ما يطبق مثل هذه الصفة على حوراء العينين منعًا للحسد .

وحيث أن العلاقات بين الزعامات البدوية والسلطات العثمانية كانت هى الأخرى غير ودية، فإنه يمكن القول أن الغالبية العظمى من شمر الجربا كانت مناهضة للحكم العثمانى ومن هنا لم تكن تختلف عن بقية العشائر ولكن وقوع عشائر شمر الجربا فى متناول القوات العثمانية كان يجعلها مضطرة فى معظم الأحوال إلى أن تتفاهم مع الإدارة العثمانية .

هذا الاتساع الشمرى قبيل معركة (الصريف) يصبح أكثر خطورة على مختلف القوى فى المنطقة وعلى رأسها الدولة العثمانية إذا ما وضعنا (شمر العراق) فى مصاف القوى العشائرية الكبيرة المستعدة طواعية فى كثير من الأحيان لدعم آل رشيد (حكام حائل) إذ أصبح لشمر بيت (إمارة) وأن هذا البيت يستطيع أن يحشد حوله كل من يمت إليه .

فإذا وضعنا شمر الجربا تحت مظلة آل رشيد - ولقد حدث هذا فعلاً من قبل - فلهذه الفرضية محاذيرها حتى ولو كانت فرضية ذات احتماليات ، فإن امتدادات نفوذ آل الرشيد داخل العراق تصبح - إن لم تزد - خطراً كبيراً على الوجود العثمانى فى أجزاء واسعة من العراق والشامية وشمال الجزيرة العربية . ويصبح آل الرشيد أكبر تجمع عشائرى يتمتع بنوع من التفوق تحت أسرة حاكمة . حقيقة كانت عنزة متفوقة على شمر طوال فترات الصراع بين هاتين الجبهتين ، وكانت عنزة تتفوق على شمر من حيث أنه خرجت منها (أى من عنزة) بيوت وأسرات حاكمة فى الجزيرة العربية . وتعتبر (عنزة) - بصفة عامة - بالقياس بشمر ، هى الأكبر والأقوى . ولا شك إن تبنى آل سعود للحركة الإصلاحية على الطريقة السلفية أعطى لعنزة بقيادة آل سعود مكانة عالية ، ولا شك أن مغادرة شمر الجربا الجزيرة العربية إلى العراق تحت ضغط آل سعود فى أواخر القرن الثامن عشر أضعفت مكانة شمر فى الجزيرة العربية . ولم تحز شمر الجبل (حائل) مكانة أقوى حينذاك لأن ذلك حدث فى فترة كانت فيه حائل غير ذات قيمة ، وعندما أصبحت حائل مقر أسرة حاكمة قوية (آل رشيد) على يد الإمام فيصل بن تركى فى مطلع الدولة السعودية الثانية كانت حائل تابعة لآل سعود ، بينما كانت شمر الجربا فى العراق مشغولة أكثر بمشاكلها القبلية وبمشاكلها مع الإدارة الحكومية العثمانية فى بغداد . ومن ثم لم تتوفر الفرص لتكامل شمر الجربا مع شمر الجبل .

فإذا أضفنا إلى هذا أن النمو فى المكانة التى أحرزتها شمر الجربا تحت قيادة صفوق الفارس الجربا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر قد انتهى نهاية دراماتيكية بمقتل صفوق وفرار بعض من أولاده - بتوجيه من زوجته عمشة - إلى شمر الجبل ، ليتبين لنا أن بيت الرئاسة فى آل محمد (شمر العراق) أصيب بتمزق شديد ، إذ كان اتجاه (فرحان باشا)

- ابن صفوق - للتعاون مع السلطات العثمانية ، واتجاه أخيه عبد الرازق وفارس إلى الثورة على العثمانيين ومقتل عبد الرازق ، كل هذا كان يزيد من تفكك شمر العراق . ومن ثم لم تعط تلك التطورات فرصة لشمر لتكوين جبهة واحدة داخل العراق ، ولم تحن فرصة مواتية لأن تتناسق شمر الجبل (حائل) وشمر الهلال الخصيب .

ولا شك أن من العوامل الرئيسية التى حالت دون أن تحصل (حائل) - رغم اتساع نفوذها - على مكانة عالية على نسق ماكانت عليه الدولة السعودية الثانية الضعيفة - هو أن هذه الدولة السعودية الثانية سيطرت بسرعة على الإحساء وأصبحت مطلة على الخليج العربى أى ذات منفذ عريض ، وهو المنفذ الذى وضع العثمانيون يدهم عليه خلال حملة مدحت باشا على الخليج ١٨٧٠ / ١٨٧١. وكان من النتائج غير المباشرة لهذه الحملة أن سدت - دون قصد فى الغالب - الطريق على آل رشيد فى التوسع نحو الإحساء بعد استيلائهم على الرياض فى مطلع التسعينيات من القرن التاسع عشر .

لم يتجه آل الرشيد إلى وراثة ملك آل سعود ، أو بمعنى آخر لم يتجهوا إلى الإحساء أو إلى الحجاز . فبالمقارنة نجد أن عبد العزيز بن سعود كان يفتح البلاد التى كانت تحت حكم أسلافه من آل سعود . أما آل رشيد فكانوا يوسعون من إمارتهم على الطريقة التقليدية باستخدام القوة وليس لديهم شرعية الوراثة ، ولا الأيديولوجية المنافسة للأيديولوجية الإصلاحية على الطريقة السلفية (الوهابية) .

إن السياسة التقليدية التى اتبعتها الدولة العثمانية فى الاقتصار على السيطرة عسكريًا على الإحساء دون إرسال قواتها إلى نجد والاكتفاء بادعاء السيادة على نجد وكل الجزيرة العربية أدى إلى عدم اكتراثها بما يدور فى قلب الجزيرة العربية من صراعات ، لأنها صراعات قبلية تفيد العثمانيين من حيث انشغال تلك القبائل العربية بعضها ببعض دون الالتفات إلى التكتل ضد الأتراك العثمانيين .

وحتى خلال الفترة التى كانت فيها الدولة العثمانية تحث وتدفع آل رشيد إلى توجيه الضربات إلى الكويت - المتعاهدة مع بريطانيا - كان العثمانيون ينظرون بعين قلقة نحو قدرات ابن الرشيد المتزايدة فالقيادات العربية بصفة عامة كانت رافضة للحكم التركى / العثمانى وتعتبر التعاون معها من الأمور السياسية حتى يحين الوقت لنفض أى ولاء للسلطان/ الخليفة العثمانى .

وهكذا كان يخيم على العلاقات العربية التركية الكثير من عدم الثقة المتبادلة بين الطرفين وكان غياب الإدارة العثمانية (التركية) عن تلك المناطق العربية الواقعة فى أطراف الدولة العثمانية يزيد من عدم ثقة العثمانيين فى استمرارية ولاء العصبيات الحاكمة هناك للدولة .

وكانت حائل (جبل شمر) والرياض (نجد) والقطيف (الحسا) من البلاد التى يصعب إنشاء إدارات (تركية / عثمانية) حديثة - على مستوى العصر أو حتى مجرد رفع علم على مبنى يثبت وجوداً رمزيًا لتلك الإدارة . حقيقة حدث هذا فى القطيف ، ولكنه لم يحدث فى قلب الجزيرة العربية . الأمر الذى كان يثير مخاوف المسئولين العثمانيين من حيث ضعف مظاهر السلطة المباشرة فى المنطقة . فهذا الضعف يوحى بانتهاز الفرصة - إذا ما حانت الفرصة للاستقلالية الذاتية الكاملة أو الاستقلالية الكاملة ، فى وقت كانت الدولة العثمانية تتدهور بفعل الحركات الاستقلالية وشبه الاستقلالية فى طول البلاد وعرضها .

نخرج من هذا كله إلى أن اتساع نفوذ آل الرشيد كان مشكلة مطروحة أمام المسئولين الأتراك العثمانيين وكان تثبيت عبد العزيز بن سعود لاقدامه فى الرياض تشكل وضعًا اشبه بسكين ذى حدين . فدعم الدولة العثمانية لآل رشيد له ما يبرره وله ما يدعو إلى تجنبه فى نفس الوقت ، والعداء العثمانى لعبد العزيز له ما يبرره وكذلك ما يدعو إلى التفاهم معه . ولقد كانت هذه واحدة من الاشكاليات السياسية التى ظلت تعانى منها الدولة العثمانية حتى لفظت أنفاسها الأخيرة فى ١٩١٨.

إن هذا كله يفسر لنا تقييم بعض المسئولين الإنجليز للهدف العثمانى من الحملة من حيث أنها كانت ترمى إلى وضع حامية عثمانية (تركية) فى القصيم ، وليس دعم ابن الرشيد فى المقام الأول . أو بمعنى آخر وضع حامية عثمانية فى منطقة بين آل رشيد وآل سعود بحيث يحول ذلك دون إنطلاقة أى منهما . أى زيادة تجزئة المنطقة ، بإقامة العديد من الوحدات الإدارية السياسية المتنافرة .

ومن استقراء مسيرة الأحداث فى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع العشرين تكاد أن نجزم بأنه كانت هناك أزمة بين آل رشيد والسلطات العثمانية الحاكمة فى الجزيرة العربية عمقتها محاولة السلطات العثمانية إقامة (حامية عثمانية) فى القصيم وهى سابقة لم تحدث من قبل ولدينا عدة أدلة على ذلك :

١ - إن سلوك آل رشيد نحو العثمانيين كان من منطلق الرغبة فى الاستقلالية وأن يكون دور العثمانيين هو تزويدهم بالدعم المالى والمعنوى دون الدعم العسكرى إلا فى حدود لا تمس يد آل رشيد العليا .

٢ - إن المثلث الذى كانت تسيطر عليه شمر من الأطراف القريبة من ولاية البصرة إلى سماوة إلى دير الزور إلى الجوف إلى شمال القصيم كلها كانت تشكل مثلثًا غاية فى الأهمية من حيث تأثير أحداثه على العراق وعلى الشام وعلى الحجاز فى وقت كانت فيها مشكلة خطوط المواصلات العالمية عبر العراق إلى الخليج وعبر الشام إلى الحجاز والبحر الأحمر على أشدها . وكانت شمر الجبل على ذلك النحو تقع على مشارف مسيرة الخطوط الحديدية المزمع مدها على طول العراق إلى الخليج وعلى طول الشام إلى طابا حتى مخا .

٣ - إن إقامة آن بلنت Ann Blunt(١) فى جبل شمر لفترة ليست بالقصيرة ودورها المعادى للدولة العثمانية فى فترة السبعينيات من القرن التاسع عشر وامتداد نتائج ذلك إلى القرن العشرين كل هذا يوحى بأن لدى آل رشيد نوع من الرفض للعثمانيين . وهو رفض لايستطيعون إعلانه بسبب أنهم على مقربة شديدة من العراق الذى يتمركز فيه جيش عثمانى له خطورته . ولاشك أن الانقسامية داخل البيت الحاكم فى شمر الجربا (آل محمد) إلى من يميل إلى جانب العثمانيين وإلى من يعمل ضدهم قد أوحت إلي زعماء بيت آل الرشيد بأن الوسطية خير من الانحيازية سواء إلى جانب العثمانيين أو العمل ضدهم . خاصة بعد أن استولى عبد العزيز على الرياض .

وتكشف لنا الوثائق عن حادثة تبدو بسيطة ولكنها ذات دلالة حتى ولو لم تكن الحادثة على صدق كامل على النحو الذى رويت عليه .

فيقول أحد المسئولين الإنجليز عن تتبع مراحل الصراع بين آل رشيد والعثمانيين من جهة وعبد العزيز بن سعود من جهة أخرى ، أن ابن رشيد وضع القوات العثمانية فى المقدمة حتى تتولى هى الصدمة القتالية الأولى وتنزل بها أفدح الخسائر . فإن كانت نتيجة المعركة هى الانتصار لصالح آل رشيد والعثمانيين يكون الآخرين قد أحرزوا نصراً لا يستطيعون جنى ثماره أو متابعة المهزوم إلى القصيم ونجد . وإن كانت هناك فرصة أمام المنتصرين للزحف إلى القصيم فإن القوات الشمرية وتكون هى الأقدر على أن تزحف وتستولى وتقيم حامية وليس القوات العثمانية .

إن هذا التفكير يتطابق إلى حد كبير مع طبيعة العلاقات بين العرب والأتراك بصفة عامة ، علاقة قائمة على عدم التقدير للطرف الآخر (عرب - عجم) . أو بمعنى آخر غياب (الثقة) بين هذين الطرفين إلى درجة (التحاقد) والممالأة فقط عند الضرورة .

---

(١) صاحبة كتاب : Plerinage to Nejd .

إن الصورة التى تقدمها لنا المصادر السعودية والدراسات التى تناولت آل رشيد غالبيتها العظمى متحاملة عليهم حتى جعلتهم مجرد (أدوات فى يد العثمانيين لتحقيق أغراضهم) والصورة التى بدأت تتكون لدينا تختلف إلى حد كبير عن ذلك . وتبين أنهم كانوا لا يرغبون هم أيضًا فى وجود عثمانى / تركى بين ظهرانيهم .

إن قيام آل الرشيد بمعاقبة قاسية لبعض الضباط الأتراك بعد خوضهم مع القوات الشمرية معركة ضد آل سعود يؤكد لنا أن ابن رشيد كان يركز على أن تكون مقدرات الأمور فى يده وليس فى يد العثمانيين . وتؤكد لنا أن الثقة بين آل رشيد والعثمانيين كانت ضعيفة .

ومن ثم يمكن القول أن آل رشيد كان لديهم مدرك لمفهوم العرب وحق العربى فى أن يحكم نفسه بنفسه . وإن هذا المدرك هو الذى كان يوجه آل رشيد سواء عند التعامل مع العثمانيين أو مع الآخرين .

النتيجة هى أن آل رشيد كانوا لا يرغبون فى أن يكون للدولة العثمانية يد عليا فى قلب الجزيرة العربية ، وكان آل سعود أشد قوة منهم فى ذلك . إلا أن التطورات الدولية المتعلقة بخطوط المواصلات العالمية (السكك الحديدية عبر المشرق العربى) دفعت بالدول الكبرى الأوربية إلى التدخل فى قلب الجزيرة الأمر الذى أعطى الفرصة أكبر للقوى العثمانية والأوربية لأن تفرض نفسها على المنطقة أكثر عن ذى قبل على نحو ما حدث بين الإنجليز والكويت والعثمانيين وحائل (شمر الجبل) .

ولكن المقولة الشائعة بأن إنطلاقة عبد العزيز من الكويت إلى الرياض كانت بتدبير مبارك الصباح الأداة الطيعة فى يد الإنجليز من وجهة النظر العثمانية ، إن هذه المقولة الشائعة كفيلة بأن تعطى لآل الرشيد المبرر القوى ليتعاون مع الدولة العثمانية فى عصر كانت فيه صيحة (الجامعة الإسلامية) متصاعدة القوة .

ولقد عبر أحد الدبلوماسيين الإنجليز فى المنطقة عن ذلك بقوله أن الأتراك العثمانيين مقتنعون تمامًا أن أية أزمة ضد العثمانيين فى المنطقة يكون من ورائها الإنجليز .

نص الوثيقة

Mr. Townley to the Marquess of Lansdowne - (Received January 16) .

(No. 28)

My Lord , Constantinople, January 10 , 1905

WITH reference to previous correspondence respecting preparations for the Nejd expedition, I have the honour to forward to your Lordship herewith copies of troops and collection of camels at Mosul .

I have & c

(Signed) WALTER TOWNLEY

Inclosure I in No. 32 .

Consul- General Newmarsh to Mr. Townly

(No. 988 / 76)

Sir, Bagdad, December 2 , 1904

THE Consular Agent at Mosul reports as follows in one of his letters dated the 22nd November, 1904 : -

" An order has lately been issued, calling out the recerves of this vilayet . the 3rd Battalion has already been assembled from the 24th Firka of the 47th Lewa of the 93rd Alai .

" This mobilization is due to the alleged fights going on between Ibn Rashid and Ibn Sabah, because the Turkish Government intends to assist Ibn Rashid by sending him soldiers " .

I have & c

(Signed) L . S. NEWMARCH, Major

Inclosure 2 in No. 32.

Consul General Newmarch to Mr. Townley

Sir,

Bagdad, December 12, 1904

IN continuation of my despatch No. 988/76 dated the 2nd instant, I have the honour to submit the follwing further report from the British Consular Agent at Mosul regarding the projected expedition against Ibn Saoud : -

" I have the honour to inform you that some days ago an order was issued from the Grand Vizier at Constaotinople to the Vali of Mosul to the effect that about 1,000 camels should be collected from the Vilayet of Mosul for the transport of military stores. Sheikh Assi, Son of Ferhan Pasha, who is now in prison with his followers, has promised to give 100 camels and the local Government have distributed part of the demand among the various quarters of Mosul, including Mahommedans, Christians, and Jews. The rest will be collected from the Vilayet and from the immediate neighbourhood".

2. I hear that the Turks contemplate permanently garrisoning El Kasim, and that the alleged assistance to Ibn Rashid is merely a pretex to cover thier ulterior design.

I have &c

(Signed) L. S. NEWMARCH, Major

(٧)

رسالة من وزارة الهند إلى وزارة الخارجية
مرفقها برقية من حكومة الهند إلى وكيل وزارة الخارجية
٢٣ يناير ١٩٠٥

مقدمة

تعتبر الرسائل المتبادلة من حكومة الهند البريطانية (India Office (I.O إلى وزارة الخارجية البريطانية فى لندن Foreign Office على جانب كبير جداً من الأهمية تفوق عشرات الألوف من الوثائق التى يبعث بها القناصل والسفراء إلى حكومة الهند البريطانية أو وزارة الخارجية . وهذا النوع من الوثائق قليل للغاية حيث أنه يحدد معالم مسيرة معينة أو الموقف الذى يتخذ إزاء قضية بذاتها .

وهذه الوثيقة من هذا القبيل ، أى أنها تحدد معالم رؤية حكومة الهند البريطانية لاجتماع مقترح عقد بين عبد العزيز بن سعود ومبارك الصباح ووالى البصرة . وهو اجتماع استشعرت منه حكومة الهند أهمية بالغة فى تلك الظروف .

لماذا لم يطلب من آل الرشيد الحضور أو حتى حضور مندوب عنهم فى اللقاء الذى طلب والى البصرة عقده مكتفياً بحضور مبارك ؟ .

قد يكون والى البصرة قد استبعد آل الرشيد على اعتبار أنهم مجرد أتباع عليهم أن يتقبلوا النتائج لاجتماع كهذا وليس المشاركة ، ولعل والى البصرة كان يدرك أن اجتماعاً يحضره خصوم آل رشيد الألداء (آل الصباح وآل سعود) يؤدى إلى الفشل لا محالة .

ولقد تعاملت السلطات العثمانية مع آل سعود بعد نجاح عبد العزيز فى استرداد الرياض، تعاملت مع عبد العزيز على اعتبار أنه (مؤسس) دولة وليس مجرد شيخ استرد مكانته السابقة فى حكم مدينة إذ أن الرياض تعنى (نجد) ومن يضع من آل سعود يده على الرياض/ نجد يكون هدفه إعادة بناء دولة آل سعود من الإحساء إلى الحجاز . ثم أن العثمانيين كانوا يسعون إلى كسر التحالف غير المكتوب بين آل الصباح وآل سعود . وكانت واقعية عبد العزيز ابن سعود تكشف له بوضوح أنه لا يستطيع وحده أن يتصدى لآل رشيد المدعومة بالقوات النظامية العثمانية .

ولاشك أن المواجهات الدامية التى كانت تجرى بين القوات العثمانية والقوات الإمامية اليمنية فى اليمن كانت تتردد فى الجزيرة العربية . وكان عبد العزيز لايريد أن يتورط فى مواجهات خارجية قبل أن يصفى الموقف فى نجد لصالحه تمامًا حتى لا يتعرض للقتال فى أكثر من جبهة . ومن ثم كان الجانبان العثمانى والسعودى يبحثان عن أرضية للتفاهم والتسوية .

إن هذا الاتجاه للتقارب والتفاهم والتفهم بين آل سعود ووالى البصرة بوجود الشيخ مبارك الصباح كان من أجل الوصول إلى تسوية ترضى كافة الأطراف من حيث :

١ - آمال عبد العزيز بن سعود فى وقف الحملة العثمانية الزاحفة ضده .

٢ - آماله فى أن يرفع الجميع أياد يهم عن (نجد) سواء أكانت سلطات الدولة العثمانية أو آل رشيد .

٣ - آمال عثمانية فى أن يحدث تعاون ثلاثى بين مبارك والوالى العثمانى للبصرة وآل سعود لما فيه مصلحة الدولة العثمانية .

وبالتالى قد ينجم عن هذا الاجتماع تنسيق بين الثلاثى (والى البصرة وابن سعود وآل الصباح) ، وهذا ماكان يخشى منه المسئولون الإنجليز فى منطقة الخليج العربى . حتى لقد اتخذوا احتياطات عسكرية أكبر من اللازم ، تمثلت فى إرسال قطعة حربية بحرية بريطانية إلى الكويت لتكون على مشهد من المجتمعين مذكرة لهم بأن بريطانيا لن تتورع عن اللجوء إلى القوة إذا استشعرت أن شيئًا يدبر ضد مصالحها .

فهل كان المقصود بهذا التحرك الإنجليزى القوى توجيه تحذير إلى الأطراف الثلاثة المجتمعة من اتخاذ أى قرار يخالف رؤية بريطانيا لمسيرة المنطقة نحو مزيد من التسلط البريطانى ومزيد من إضعاف السلطة الحكومية العثمانية الممثلة بوالى البصرة والذى له دور فى إعداد الحملة التى تعدها الدولة العثمانية ضد نجد ؟ .

فمن وجهة نظر المسئولين الإنجليز عن المنطقة أن هذا الاجتماع إذا أدى إلى نوع من التفاهم بين الثلاثة (السلطات العثمانية وآل الصباح وآل سعود) فذلك يعتبر متناقضًا مع المصالح الإنجليزية فى المنطقة فقد كانت بريطانيا تسعى إلى التحكم فى منفذ خط حديد برلين - بغداد - البصرة - الكويت - كاظمة ، وهو مشروع ألمانى عثمانى يعتبره الإنجليز خطراً مباشراً على استمرارية الإمبراطورية البريطانية فى الهند وما هو إلى جوارها .

ومن المنطقى أن تعمل الدوائر المسئولة عن توجيه سياسة الإمبراطورية البريطانية على أن تستعرض عضلاتها على ذلك النحو حتى لا يفكر الشيخ مبارك الصباح فى أن يتخفف من قيود اتفاقيته مع الإنجليز . حيث أن المسألة غير مرتبطة بوجود هذا الشيخ أو غيره على حكم الكويت ولكنها مرتبطة أساسًا بمصير مشروع خط حديد برلين - بغداد - كاظمة، الذى يجب - من وجهة النظر البريطانية - أن يكون (بريطانيا) على أى حال أو على الأقل أن يكون جزؤه الأخير تحت تحكمهم فقط .

حقيقة كان مبارك حينذاك شديد الرغبة فى أن يحذو عبد العزيز بن سعود حذوه ويدخل تحت الحماية البريطانية . ولكن عبد العزيز كان يدرك تمامًا الإدراك أن هذه الخطوة فى ذلك الوقت قد لا تكون مقبولة من الإنجليز ، وقد تكون غير مفيدة له . وأن الأجدى له حينذاك أن يفيد من ارتباطاته القوية مع مبارك ، إذ فى ذلك ما يدعم تثبيت أقدامه .

فقد كانت الكويت هى المصدر الرئيسى لتزوده بحاجته من السلاح النارى الذى أصبح هو الذى يحسم المعارك فى ذلك الوقت . خاصة وأن خصمه (آل رشيد) يحصل على حاجته من السلاح بسهولة أكثر وذلك من الدوائر العثمانية المجاورة لهم (العراق) . ومع أنه تعوزنا الإحصاءات، إلا أن شواهد الأمور توحى بأن ابن الرشيد كان يحصل على حاجته من الأسلحة النارية بأسعار معقولة إن لم تكن زهيدة إلى حد المنحة .

وحينذاك كانت السلطات الإنجليزية فى الخليج تبذل قصارى جهدها فى منع تجارة السلاح على يد تجار من الخليج أو أى تجار . ولكن المصالح البريطانية كانت لها الأولوية . فإن غض الطرف عن تهريب السلاح أو تجارته إلى من هم ضد الدولة العثمانية هو لمصلحة الإنجليز . ولذلك كانت الكويت لا تتعرض لتدخلات شديدة من الجانب الإنجليزى فى موضوع تهريب السلاح إلى عشائر العراق والى آل سعود .

كان عبد العزيز بن سعود حينذاك شخصية غير معروفة للسلطات الإنجليزية فى المنطقة . فخلال المنفى السعودى فى الكويت ، كان عبد الرحمن بن فيصل - والد عبد العزيز - هو الذى يقوم بالجهود والاتصالات لتدبير عودته إلى عاصمته الرياض وكان عبد العزيز خلال ذلك ينتقل من مرحلة الصبى إلى الشبابية المبكرة ، إلى الانتقالية إلى مرحلة (والفتوة) . ومن ثم فإن صورة عبد العزيز كانت غير واضحة لدى السلطات الإنجليزية وأن (المغامرة) الناجحة لعبد العزيز فى احتلال الرياض لاشك أنها لفتت بشدة أنظار هذه السلطات الإنجليزية ،

وأخذت تتعامل معه وكأنه مؤسس دولة . وهو استنتاج منطقى للملابسات حينذاك من حيث أنه ابن الوريث الشرعى للدولة السعودية (عبد الرحمن بن فيصل) .

إن هذه الحيثية التى كانت لدى عبد العزيز وهذه الملابسات فرضت على السلطات الإنجليزية أن تدخله فى اعتبارها وبصفة خاصة بعد مرور ثلاث سنوات على سيطرته على ما تحت يده فى (نجد) ، وكذلك بعد أن تعرض عبد العزيز لحملة مشتركة عثمانية - شمرية ليس من السهل التنبوء بما يمكن أن تؤدى إليه فى حالة نجاح الحملة أو فشلها .

ودرست الدوائر المسئولة الإنجليزية فى الهند وفى لندن هذا الوضع الجديد لتحديد أسلوب التعامل مع عبد العزيز بن سعود فى ظروف عقد ذلك الاجتماع الثلاثى في صفوان . وكان القرار الذى توصلت إليه حكومة الهند البريطانية هو عدم الاتصال بعبد العزيز وفعلاً تجنب المسئول الإنجليزى عن الكويت الاتصال بعبد العزيز . مع أن الظروف كانت توحى بأن المصلحة الإنجليزية تقتضى الاتصال بعبد العزيز وحثه على التعاون معهم على نحو ما كان يفعله مبارك .

كان لدى بعض المسئولين الإنجليز عن المنطقة حماس نحو كسب عبد العزيز إلى جانبها وكتبوا بذلك إلى صناع القرار ، إلا أن حكومة الهند البريطانية وجدت أنه من الأنسب لها عدم الاتصال الرسمى بعبد العزيز بن سعود فى ظروف انعقاد مؤتمر صفوان . وهذا يجعلنا نتساءل: لماذا اتخذت حكومة الهند - البريطانية هذا الموقف السلبى من عبد العزيز ؟ .

هذا الموقف السلبى البريطانى من عبد العزيز يرجع إلى أن واحداً من الأسس السياسية التى التزمت بها الحكومة البريطانية إزاء الجزيرة العربية هى " عدم التورط فى المنازعات الداخلية والاقتصار على التدخل فى المنازعات التى تمس مفهوم الأمن الإنجليزى على سواحل وفى مياه الخليج " ومن ثم كان عبد العزيز يدخل فى دائرة القوى المؤثرة على سواحل الخليج وعلى مياه الخليج بالدعوة إلى عقد اجتماع ثلاثى بين والى البصرة وشيخ الكويت وعبد العزيز بن سعود . ولكن عبد العزيز كان لايزال حتى ذلك الوقت " قوة داخلية " ولذلك فإنه لايزال بعيداً عن مواصفات القوة التى تفرض على السلطات الإنجليزية التعامل معها .

ثم أن عبد العزيز هو الآخر كان فى غير رغبة فى التعامل مباشرة مع المسئولين الإنجليز حينذاك حتى لا يضع نفسه فى حالة مواجهة مع السلطات العثمانية من منطلق اتهامه بأنه

أصبح مثل مبارك الصباح متحالفًا مع الإنجليز ، وهو اتهام لا يريد عبد العزيز أن يستخدمه العثمانيون كأداة لتدميره وهو لايزال فى السنوات الأولى من حكمه .

أشارت هذه الوثيقة إلى تصريح لمبارك يقول أن عبد العزيز كان يدرك تمامًا أنه فى حاجة إلى دعم مالى تقدمه له الحكومة البريطانية وأن عبد العزيز بن سعود سيرد ذلك على هيئة خدمات يقدمها لها . وبغض النظر عن اتجاهات مبارك الصباح لإقناع عبد العزيز بذلك ، إلا أننا نقدر ماكان يتجه إليه عبد العزيز - إذا صحت تلك الرواية - من الحصول على دعم من دولة كبرى لمواجهة مخططات دولة كبرى فى المنطقة (الدولة العثمانية) - إلا أن عبد العزيز حينذاك كان فى حاجة إلى تحييد العثمانيين بقدر المستطاع لأنهم هم الذين يتحركون بقوة حينذاك ويستطيعون فرض معركة كبيرة عليه من مصلحته - أى مصلحة عبد العزيز - أن يتجنب خوضها أو على الأقل أن يؤجل وقوعها إلى أطول مدة ممكنة .

الخلاصة هى أن إرسال قطعة حربية بريطانية إلى الكويت وقت انعقاد الاجتماع الثلاثى كان رسالة مفتوحة تحمل إنذارًا لأطراف الاجتماع جميعًا بأن يتقاتلوا فيما بينهم دونما مساس بالمصالح البريطانية .

نص الوثيقة

No . 47

India Office to Forign Office - (Received January 24)

THE Under-Secretary of State for India presents his compliments to the Under-Secretary of State for Foreign Affairs, and , by direction of Mr. Seceretary Brodrick, forward herewith, for the Information of the Secretary of State, copy of a telegram from the Viceroy, dated the 23rd January, relative to Koweit and Nejd.

India Office, January 24, 1905 .

Inclosure in No. 47 .

Government of India to Mr. Brodrick

(Telegraphic) . P. January 23, 1905

POLITICAL RESIDENT in Persian Gulf telegraphs, on the 17th instant, as follows regarding affairs in Nejd and Koweit : -

" Report of to - day's date received from Knox states that arrival of Ibn Saud at or in the neighbourhood of Koweit, on his way to Safwan (Where he is to meet the Vali of Bussorah) is now imminent. It is also stipulated that Mubarak shall be present, and the latter is making preparations to proceed to the rendez - vous, taking with him, as a measure of precaution, a formidable escort 1,000 strong. This important event is significant, because expediency of extending British protection to Ibn Saud and Nejd has been repeatedly impressed upon Knox by Mubarak, who represents that such a measure, besides being earnestly desired by himself and his friends before mentioned, is one failing which Ibn Saud will have no alternative but to allow the Turks admittance into Nejd. At the same time, but in a separate communication, Mubarak stated that he considered he ought to be subsi-

dized by the British Government for his services. Impression conveyed by all this is that the present opportunity is being utilized both by Mubarak and Ibn Saud to work on our feelings. Knox, however, has maintained a guarded and discreet attitude. No doubt the Turks will do their utmost at the forthe-oming Conference to seduce Mubarak. Probability is that he will not waver, but I Should be glad to be informed whether I may ask for His Majest's ship 'Sphinx,' which is available, to proceed to Koweit until required at Bahrein. Kowledge that a British man-of-war is present at Koweit while the confer-ence with the Vali is procceding might serve to give confidence to Mubarak or else might prove a useful deterrent. I should also be glad to know wheth-er the Government of India have any special instructions for Knox in case it should be found impossible for a meeting between him and Ibn Saud to be avoided. Meeting will not be sought by Knox " .

I Have authorized Resident to ask for dispatch of His Majest's ship " Sphinx". to Koweit, as he proposes, and I have referred him to your tele-gram of the 30th December for his guidance. I have also given instructions that, unless, of course, Ibn Saud actually visits Koweit, no meeting or com-munication with him is to take place .

(٨)

رسالة من تويتلي إلى لانسدون
٢٤ / ١ / ١٩٠٥ ، المرفق بتاريخ ١٩٠٥/١/١١

مقدمة

كانت الدوائر المسئولة العثمانية قد قررت إرسال حملة لدعم عبد العزيز آل رشيد بعد مرور ثلاثة أعوام من فشله في العودة إلى الرياض وهي ثلاث سنوات أثبت خلالها عبد العزيز بن سعود أنه يسعى حثيثًا إلى استرداد ملك آبائه . وأخذت السلطات العثمانية في تجميع عناصر هذه الحملة ، وواضح من هذه الوثيقة أن هناك تركيز شديد جداً على أن تكون قوتها البشرية الضاربة من (الشام) : وبصفة خاصة من دمشق وحلب وبيروت . وبعد تجميع هذه القوة ومشتملاتها تنقل بالسكة الحديد (سكة حديد الحجاز) إلى (معان) ثم تنقل الحملة إلى (العقبة) ومنها بالبحر إلى ينبع أو القنفدة أو الحديدية . فاليمن مثل نجد كانت مناطق تسعى السلطات العثمانية إلى استعادتها أو تقوية قبضتها عليها حينذاك . وإذا ما نزلت الحملة في ينبع فإنها ستتخذ طريقها إلى المدينة ومنها إلى نجد أو حائل .

وهنا نتساءل لماذا هذا التركيز على المجندين من الشام لإرسالهم في حملة ضد آل سعود في نجد ؟ وكان هؤلاء المجندون ممن دخلوا الخدمة العسكرية من وقت قصير (منذ سنة فقط) ؟

ولماذا هذه العملية العسكرية الطويلة المسافة بينما تستطيع قوات الجيش السادس في العراق أن تتحرك إلى حائل للتعاون مع قوات شمر في حملة كبيرة ضد نجد ؟ .

ولماذا لم تتركز قوات الحملة وقيادتها في والي بغداد ووالي البصرة على اعتبار أن بغداد والبصرة أقرب إلى ميدان المعركة (نجد) من الشام ، وعلى اعتبار أن والي البصرة بالذات هو المحتك مباشرة بمشكلات قلب الجزيرة العربية ؟ .

وبادىء ذي بدء ، لن ندخل في التفاصيل العسكرية ، وإنما سنتخذ من المسائل العسكرية وتحركاتها ما يكشف عن طبيعة العلاقات حينذاك بين مختلف العناصر المؤثرة في مجريات الأمور .

فالقدرات العسكرية العثمانية كانت محملة بأعباء شديدة جداً حينذاك في مختلف الجبهات (البلقانية - الروسية - النمساوية - اليونانية - المصرية (طابا) - الكويتية

(كاظمة) - القطرية (العديد) الفارسية (على طول الحدود الأناضولية - العراقية حتى الخليج العربى) البحر متوسطية (ليبيا بين مصر البريطانية وتونس الفرنسية) واليمن فضلاً عن مسيرة الوفاق الدولى بين الدول الكبرى الثلاث (انجلترا وفرنسا وروسيا) فى مواجهة التحالف الثلاثى (ألمانيا - النمسا المجر - إيطاليا) وكلها تكتلات يمكن أن تسوى ما بينها من مشكلات على حساب الدولة العثمانية على نحو ما حدث قبل ذلك فى مؤتمر برلين ١٨٧٨ إذ حتى مطلع القرن العشرين كانت الدولة العثمانية تعانى مر المعاناة من نتائجه .

وبينما كانت الدولة العثمانية تعانى بشدة من تعدد واتساع الجبهات المفتوحة عليها انقض عبد العزيز بن سعود على الرياض وامتدت سيطرته إلى نجد بسرعة ، فاتحًا بذلك جبهة جديدة غاية فى الحساسية فى ذلك الوقت لأنها جبهة لفتت الأنظار بسرعة إليها ليس على اعتبار أن عبد العزيز بن سعود استرد عاصمة أجداده ، وإنما لأن عبد العزيز بن سعود يطالب بكل ما كان تحت يدهم من أطراف العراق الغربية إلى أطراف الشام الشرقية وعلى مستوى معظم الجزيرة العربية فى وقت كانت فيه الأزمات تتصاعد بسرعة بين العرب والترك فى مختلف الجهات رغم المحاولة اليائسة الى قام بها السلطان العثمانى لاستيعاب العرب تحت مظلة الجامعة الإسلامية .

لم يكن فى استطاعة السلطات العثمانية أن تنتظر أكثر من اللازم إزاء عجز آل الرشيد عن استعادة الرياض على الأقل ولم يكن فى استطاعة تلك السلطات أن تحرك فرقًا عسكرية عثمانية مرابطة فى العراق أو الشام نحو قلب الجزيرة العربية ، وإنما كانت مضطرة إلى تجميع قوة عسكرية من أكثر من ولاية لإعداد حملة ضد نجد ، دون تحريك الجيش السادس فى العراق، ولا الجيش الخامس فى الشام .

فلماذا كان التحشد العسكرى ضد نجد من الشام ومن البصرة - بغداد (العراق) فقد كان تجميع عناصر هذه الحملة يمتد إلى الموصل وإلى عشائر شمر الجربا (العراقية)؟ ولماذا كان والى البصرة يقوم بمحاولات التفاهم مع عبد العزيز بن سعود بدلاً من إرسال حملة عسكرية ؟ ولماذا أصبح " الهلال الخصيب " العثمانى قاعدة لتوجيه حملة واسعة النطاق من منطلقين أو على هيئة شعبتين تلتقيا مع قوات آل رشيد لتوجيه حملة تكسر على الأقل شوكة عبد العزيز حتى لا يستطيع متابعة تنمية نفوذه فى نجد؟ .

فمن الناحية التاريخية ، كانت محاولات لتوجيه ضربة حاسمة (للدولة السعودية) الأولى تبدأ من العراق العثمانى ، وقد خرجت منه فعلاً أكثر من حملتين كبيرتين ضد الدولة

السعودية الأولى وإن باءتا بالفشل الذريع . ونذكر من تلك الحملات : حملة على باشا نائب الوالى فى بغداد ، وحملة ثوينى شيخ المنتفق .

ثم اتجه السلطان العثمانى إلى والى دمشق الشام وضغط عليه لإرسال حملة ضد الدولة السعودية الأولى ، ولكن الشام كان مفككًا وكانت مشاكله عديدة ، فوضعت خطة عامة لتوجيه ضربة حاسمة إلى الدولة السعودية الأولى تقوم على أساس انطلاق ثلاث حملات من العراق والشام ومصر فى آن واحد ، الأمر الذى يؤدى إلى ارتباك شديد للغاية فى (الدرعية) يؤدى إلى هزيمة حاسمة للقوات السعودية على الجبهات الثلاث . ولكن لم تنفذ هذه الخطة الثلاثية ، وضغط السلطان العثمانى على محمد على كى يرسل الحملة من مصر وهذا هو ما حدث .

وحيث أن مصر (١٩٠٤ / ١٩٠٥م) كانت تحت الاحتلال البريطانى ، ولا تخرج منها حملة إلا إذا كانت لبريطانيا مصلحة عليا من ورائها . ومن ثم كانت توجيه ضربة للدولة السعودية الثالثة وهى فى أول فترة (المهد) . وفى مطلع القرن العشرين ، ومع عمليات التطوير العديدة التى حدثت للقوات المسلحة العثمانية فى عهد عبد الحميد الثانى - رغم قصورها - أصبحت هناك إمكانيات أكبر فى مجال التنسيق بين جيوش الدولة العثمانية للقيام وتنفيذ عمليات عسكرية مشتركة بقوات وقيادات تحت التوجيه المباشر من الإدارة العليا فى العاصمة استنبول (الأستانة) .

ولدينا بعض الملاحظات فى هذا الصدد :

١ - إن سحب أية قوة عثمانية من ولايات العراق (الموصل - بغداد - البصرة) يعرض هذه الولايات لتصاعد الضغط العسكرى الفارسى على العراق ، وهو ضغط متواصل عبر القرون الماضية .

٢ - إن امتداد خط حديد الشام - الحجاز إلى مدينة (معان) يغرى بسهولة نقل القوات العسكرية بسرعة أكثر عن ذى قبل . وكان استخدام السكك الحديدية على هذا النحو من الأمور التى أدت إلى اتخاذ بريطانيا ترتيبات جديدة لمواجهة مشروعات مد خطوط المواصلات الحديدية البخارية فى اتجاه الخليج (الكويت - كاظمة) وفى اتجاه البحر الأحمر (معان - العقبة) . ومن ثم فإن إرسال هذه الحملة عن طريق معان - العقبة (بالبر) ثم من العقبة إلى ينبع (بالبحر) فيه استعراض لقوة الدولة العثمانية أمام مختلف القوى المحلية والأجنبية هناك .

٣ - أن مسيرة الحملة العثمانية بالبر من ينبع إلى المدينة المنورة فيه رسالة موجهة إلى أهل الحجاز وإلى الأشراف الحكام فى مكة المكرمة مضمونها أن الحجاز فى متناول القوات العثمانية ، بل إن نقل القوات العثمانية إلى منطقة ساخنة مثل اليمن أصبحت أكثر سهولة عن ذى قبل .

٤ - إن تحرك القوات العثمانية من العراق إلى نجد لابد وأن يتخذ أحد الطريقين الرئيسيين التاليين : أولاً : الطريق عبر العراق إلى حائل ومنها إلى نجد ، ثانيًا : الطريق من البصرة إلى الرياض سواء مباشرة أو بالانطلاق من الإحساء إلى الرياض ، وكل هذه التحركات كفيلة بأن تثير مخاوف الإنجليز وتدعوهم - دفاعًا عن مصالحهم - إلى توجيه ضربة إجهاض لمشروع الحملة العثمانية على نجد . ولقد سبق للإنجليز أن قصفوا تحصينات أقامها الجيش العثمانى عند (الفاو) عند مصب شط العرب ومسيرة هذه الحملة من البصرة إلى الرياض مباشرة محاطة بالكثير من المخاطر التى قد تؤدى إلى تعرضها لنكبة مبكرة على يد مباغتة من قوات ابن سعود لها فى مكان يختاره لتوجيه ضربة قاصمة للحملة . الأمر الذى يؤدى إلى مزيد من تدهور مكانة الحكومة العثمانية فى المنطقة . كما كانت احتمالية تحرك (إنجليزى) ضد الحملة العثمانية قائمة حتى مع الأخذ فى الاعتبار أن السياسة البريطانية (الموضوعة) تقضى بعدم تورط الإنجليز فى مشكلات الجزيرة العربية الداخلية إلا إذا هددت التفوق الإنجليزى على طول السواحل فى الخليج . وبالتالى كانت السلطات العثمانية تفضل البعد عن مواطن الاصطدام بالقوى الإنجليزية ، لما كان عليه الأسطول الإنجليزى من قدرة على ضرب جميع السواحل العثمانية من الخليج العربى إلى البحر الأحمر إلى حوض البحر المتوسط . ولاشك أن تداعيات الأحوال فى أزمة طابا حينذاك وملابساتها واحتمالية استخدام الإنجليز للأسطول البريطانى ضد الدولة العثمانية والسوابق العديدة فى مثل هذه الأمور هى التى أدت إلى أن تبعث الدولة العثمانية بقواتها من الشام إلى الحجاز إلى نجد ضد عبد العزيز بن سعود. وأن تبعث فى نفس الوقت قواتها من العراق إلى نجد ، ولكن بقوات (محدودة) لا تثير قلق الإنجليز ، وفى نفس الوقت يصبح مجموع القوات الزاحفة من العراق ومن الشام إلى نجد كبيراً نسبياً .

فى اعتقادنا أن كلاً من صناع القرار فى الحكومة العثمانية وفى الهند البريطانية كان يفكر بأسلوب واحد وهو دعم أحد الطرفين المتقاتلين (آل سعود وآل رشيد) دون الاصطدام بل

تجنب وقوع صدام بين الدولتين الكبيرتين (الدولة العثمانية والإمبراطورية البريطانية) ودفع الأمور إلى حافة الهاوية دون الوقوع معًا فى هاوية الحرب الفعلية حيث أن الأزمات الدولية كانت تتطلب ذلك خلال الفترة الواقعة بين مطلع القرن العشرين ونشوب الحرب فى ١٩١٤.
ومن بين المخططات العثمانية والبريطانية المتشابهة فى هذا الصدد أن الطرفين العثمانى والبريطانى اتجه إلى تكوين " هيئة استشارية " عالية المستوى لمساعدة الأمير فى إدارة الأزمة ضد الأمير الآخر . فقد قررت الدولة العثمانية إرسال هيئة استشارية عليا عسكرية إلى عبد العزيز بن الرشيد مكونة من : فريق (١)، وأميرآلاى (٢)، وقائمقام (٣)، وقول اغاسى(٤) . بينما أرسلت حكومة الهند البريطانية عدة ضباط بريطانيين نزلوا فجأة إلى الشاطىء وضربوا خيامهم قرب البصرة وتناقلت الأقوال عنهم أنهم على حماس كبير للرحيل إلى ديار ابن سعود لدعمه ضد آل رشيد والدولة العثمانية ، ولقد نجحت السلطات العثمانية فى أن تحول دون انتقال هؤلاء الضباط إلى نجد . حقيقة أنها نجحت فى هذه المرة ، ولكن بعد حوالى عشر سنوات أدى الضغط العثمانى الشديد على عبد العزيز بن سعود إلى أن يقبل فى جيشه الكابتن شكسبير الذى قتل فى معركة ضد العثمانيين وآل رشيد .

ومن وجهة النظر السعودية ليس هناك صراع بين آل سعود وآل رشيد ، وليس هناك صراع بين مشيخة / إمامة نجد ومشيخة / إمارة حائل ، وإنما من وجهة نظر عبد العزيز بن سعود فالأزمة بين آل سعود وعبد العزيز بن الرشيد وخلفائه ما هى إلا (حق شرعى) لآل سعود فى حكم (حائل) وأن غير ذلك هو (اغتصاب) على نحو ما يقوم به حينذاك عبد العزيز بن الرشيد وأنه - على نحو ما كان يردده آل سعود - على الدولة العثمانية أن تدعم أصحاب الحق الشرعى (آل سعود) فى حكم ما كان تابعًا لهم مثل (حائل) وغيرها . فمن وجهة نظر آل سعود أن عبد الله بن الرشيد الذى عينه الأمير / الإمام فيصل (جد عبد العزيز آل سعود) على إدارة حائل هو تابع كان يعمل بتوجيهات من الأمير / الإمام ، وأن ما حدث بعد ذلك من استيلاء آل رشيد على الرياض وبلاد نجد هو (تمرد) يعمل عبد العزيز بن سعود على إصلاح ما أفسده الدهر .

---

(١) Lieutenant General
(٢) Colonel
(٣) Lieutenant Colonel
(٤) Adjutant Major

وقد حث عبد العزيز بن سعود السلطات العثمانية على تبنى وجهة النظر السعودية فى هذا الصدد ، وكاتبها فى هذا الشأن إلا أن السلطات العثمانية كانت تنظر إلى أن خطورة آل سعود على الدولة العثمانية لا تكمن فى أنها أسرة حاكمة ، وإنما من حيث أنها أسرة حاكمة تطالب - بما كان تحت حكم أسلافها من بلاد تمتد على مساحات واسعة للغاية تغطى مناطق أصبحت غاية فى الحساسية محليًا وإقليميًا ودوليًا .

ويبدو أن حرب إشاعات كانت قد نشبت بين الطرفين السعودى والشمرى ، فقد بلغت إلى أسماع الدوائر القنصلية الإنجليزية فى دمشق أن " حائل " سقطت فى يد عبد العزيز بن سعود ، وهذا ما لم يحدث أبداً حينذاك . وأغلب الظن أن هذه الإشاعة انتشرت فقط فى الشام حيث أنه لا وجود لأثر لها فى الوثائق الإنجليزية المتعلقة بالدوائر القنصلية الإنجليزية فى العراق .

ولعل الهدف من وراء هذه الإشاعة تثبيط همم رجال الحملة العثمانية حتى لا يتسرعوا فى الحركة نحو (نجد) حتى يكون عبد العزيز قد استطاع أن يدبر أموره فى فسحة من الوقت .

نص الوثيقة

Mr. Towenley to the Marquess of Lansdowne - (Received January 30)

(No. 51)

My Lord.

WITH reference to my despateh No. 18 of the 10th instant, I have the honour to transmit to your Lordsship herewith copy of a despateh from His Majesty's Consul at Damascus, reporting the departure of fruther troops, ostensibly for the Yêmen, and giving an account of recent events in the Nejd.

This is the first intimation that has reached me of Hail having fallen into the hands of Ibn Saoud .

I have, & c.

(Signed) WALTER TOWNLEY.

Inclosure in No. 53

Consul Rishards to Mr. Townley

(No. 3)

Sir, Damascus, January 11, 1905

I HAD the honour to report by telegraph on the 9th instant, with reference to my despateh No. 59 of the 24th ultimo, that up to that date some 2,500 troops, most of whom are year's conscripts, had left Damascus by the Mecea railway for Ma'an, " Whenee they would march to Akaba and embark there for some post in the Yêmen, probably Hodeidah.

Of these troops 1,500 men came from Beirut, 1,000 having been landed there for the purpose, while the remaining 500 (in round numbers) are said to last year's conscripts. As to this, however, you will be better informed from another quarter. Of the remaining 1,000, about 500 - mostly last year's conscripts have come from the Aleppo district, while the rest (500) have been drawn from this district .

I hear that a lieutenant-general (Ferik), a colonel (Miralai), and a lieutenant-colonel (Caimmacam), whose names so far are unknown, are now on their way here from Constantinople, in order to proceed to the Nejd with the

object of forming a sort of advisory Committee to Abdul Aziz Ibn- Reshid, the Emir of that country. These officers are, it is said, to be joined here by two others of the rank of Kol Aghassi (adjutant-major), one of whom is a certain Ferid Bey-belonging to the Staff here, while the other, whose name is Mustapha Effendi, is coming from Aleppo, where he occupies a similar position. I am even given to understand that Feizi Pasha, who Commands the 6th (Bagdad) Army District, will also proceed to Nejd (if indeed he has not already started) on a special mission to the Emir, but you will be better informed on this point from another quarter .

You will, Sir, doubtless have heard of the capture of Hail by Abdul Aziz Ibn So'oud, the Wahibi opponent of Ibn Reshid. A report has reached me to the effect that Ibn So'oud has made an earnest appeal to the Sultan to support his claim to the Emirship of the Nejd on the ground that he is the hereditary Emir, and not Ibn Reshid, who can only claim descent from an usurper, viz, his graudfather, Abdullah Ibn Reshid, the founder, so to speak, of the dynasty. This is undoubtedly true, but it is open to question whether the Sultan could, as a matter of policy even if he wished, cease to protect the present representative of the Ibn Reshid family .

In view of the conflict now going on in the Nejd, it has occurred to me that some of the troops now supposed to be on their way to the Yêmen may not improbably be Ianded at Yambô (instead of proeceding to Kunfida or Hodeidah) and marched up through Medina to Hail to the assistance of Ibn Reshid. Here in military circles it is reported, it is true, that Yêmen is the destination of all the troops, but that would be stated in any case. It dose not follow that it is true.

I have, & c.

(Signed) W. S. RICHARDS

(٩)

مذكرة محمد حسين (نائب القنصل الإنجليزى فى جدة)
بشأن الحملة العثمانية على نجد
١٣ يناير ١٩٠٥

مقدمة

لكى يتمكن الإنجليز - وغيرهم من الغربيين - من جمع المعلومات بشكل أكثر دقة وإدارة شئونهم بسلاسة أكبر كانوا يعينون فى المدن الهامة العربية " نائب قنصل " من أهل البلد . وكان هذا من الأمور الشائعة فى معظم البلاد العربية والإسلامية . وكان نائب القنصل الإنجليزى فى (جدة) يدعى (محمد حسين) ، وواضح من ترجمة تقريره عن الحملة العثمانية - الشمرية أنه كان مخلصًا تمامًا للمصالح البريطانية فى المنطقة ، وكانت المعلومات التى يجمعها على دقة كبيرة سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو العسكرية . وأمثال (محمد حسين) فى المدن العربية كثيرة .

كان هذا الأسلوب متبعًا فى طول وعرض الإمبراطورية البريطانية . وفى منطقة الخليج العربى كان مستخدمًا على نطاق واسع ، ولا شك أن مثل هذا النظام أسهم كثيراً فى نمو الإمبراطورية البريطانية على حساب أهل البلاد الوطنيين .

ولا شك أن السيطرة السعودية الجديدة على نجد فرضت على السلطات العثمانية - أكثر عن ذى قبل - الوصول إلى تسوية لأوضاع الصحراء الشامية والجزيرة العربية بما يضمن استقراراً يقلل من أعداد القوات العثمانية اللازمة لاستتباب الأمن فى تلك الجهات . كبديل مؤقت لحملة عثمانية على قلب الجزيرة العربية .

وهكذا التقت فى تلك الظروف أهداف السلطات العثمانية وعبد العزيز عند التوصل إلى تسوية مقبولة من الطرفين العثمانى والسعودى دون أن يكون آل رشيد طرفًا فيها . والدليل على ذلك أن عبد العزيز بن سعود اتجه نحو وساطة شريف مكة . وذلك للأسباب التالية :

كان أشراف مكة يمثلون الأسرة الحاكمة الوحيدة التى لها مكانة عالية معترف بها لدى السلطان والسلطات العثمانية الحاكمة ، ومعروف عنهم أنهم - على عكس أئمة اليمن من آل حميد الدين العرب - لم يشوروا على الدولة العثمانية ، بل كان التعاون مع آل عثمان إحدى سمات العلاقات بين أشراف مكة والسلطات العثمانية .

وكان (الأشراف) خلال الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر أكثر خضوعًا عن ذى قبل للسلطان العثمانى ومن أبرز مظاهر ذلك أن الشريف حسين بن على كان لدى السلطان العثمانى بمثابة (رهينة) حتى لا يحدث أى تحرك من جانب الأشراف ضد مصالح السلطان .

ومع أن القوات العثمانية التى بعثتها القيادة العسكرية من الشام إلى الحجاز لدعم ابن الرشيد مرت بالحجاز ، وأن الشريف فى مكة كان يدرك حقيقة التحركات العثمانية ضد عبد العزيز بن سعود ، إلا أن شريف مكة لم يشارك فى الحملة ضد نجد . وإن كانت بعض الوثائق تشير إلى أن القيادة العثمانية قد وضعت فى اعتبارها مساهمة (مكة) فى أعداد الحملة ضد عبد العزيز . ومن ثم فإن السلطات العثمانية كانت هى الأخرى تدرك ما للأشراف من أهداف بعيدة من حيث اعتبار أنفسهم أكثر الشرائح أحقية فى (الخلافة) على اعتبار أنهم من (قريش) . فضلاً عما كان لدى الأشراف من تطلعات لها دلالات فى تاريخ الجزيرة العربية وخاصة منذ القرن الثامن عشر على حساب الدولة السعودية الأولى .

ثم أن شريف مكة كان إلى جانبه والى عثمانى يحكم من جدة ، وبالتالى فإن ازدواجية نظام الحكم فى الحجاز كانت تخدم عبد العزيز من حيث أنه يتعامل مع زعامتين فى آن واحد : زعامة عربية (الشريف) وزعامة عثمانية (الوالى التركى) وبالتالى تكون لوساطة الشريف أكثر من مغزى ومكانة ، فهو أكثر قبولاً لدى السلطان من أية زعامة عربية أخرى ، وهو إلى جانب علاقاته الطيبة مع العثمانيين فهو من آل البيت ذى المكانة الروحية العالية لدى مختلف جماعات المسلمين . كل هذا كان يؤدى إلى إعطاء أشراف مكة مكانة فى نجد . وبينما كان عبد العزيز وكذلك السلطات العثمانية لا توافق على تصعيد لمكانة الأشراف .

فما هو الأساس الذى يراه عبد العزيز بن سعود لوساطة يقوم بها الشريف بينه وبين الدولة العثمانية ؟ لقد حدد عبد العزيز بن سعود أن التسوية يجب أن تكون معقولة Reasonable وهى تسوية تجرى بين صاحب الحق الشرعى (آل سعود) والمغتصب (آل رشيد) ، ومن ثم فهى ليست تسوية بين ندين ، وإنما بين تابع ومتبوع . أى على الأقل عودة الأمور إلى ما كانت عليه الأحوال أيام إمامة فيصل بن تركى وتابعه عبد الله آل رشيد حاكم حائل .

وهناك إشارة فى الوثيقة إلى أن عبد العزيز بن سعود سيقبل ما يراه السلطان العثمانى فى هذا الصدد ، وأنه - أى عبد العزيز بن سعود - سينفذ (إرادة) السلطان بكل أمانة . ومعنى هذا أن عبد العزيز بن سعود يشير بطرف خفى إلى أنه مستعد لقبول نوع من الولاء للسلطان وهو احترام إرادته ، ولكن هذا لايعنى اعتراف عبد العزيز بن سعود بأن السلطان العثمانى هو (خليفة) المسلمين . فمن الواضح أن عبد العزيز بن سعود كان يرى أن ليس للأتراك العثمانيين حق فى وراثة الخلافة الإسلامية . ولقد كانت مسألة حق من هم ليسوا من قريش فى الخلافة مثيرة للجدل الشديد بين المفكرين الإسلاميين وغيرهم .

ولكى يثبت عبد العزيز بن سعود حسن نواياه للشريف وللسلطات العثمانية أبدى استعداده لإعادة الغنائم من مدفعية وبنادق وغيرها من أسلحة كان قد استولى عليها من القوات العثمانية المهزومة ، إعادتها للدولة العثمانية ، مؤكداً أنه لم يكن يقاتل السلطان أو الدولة ، وإنما اضطر لقتال الجند النظامى الذى قاتل إلى جانب آل رشيد .

لا شك أن عبد العزيز بن سعود كان مستعداً لأن يعرض بعض التنازلات (المعنوية) توصلا إلى تحييد السلطان فى وقت كان فيه هو وسلطاته فى المشرق مستاءة من هزيمة قواته أمام ابن سعود حتى لقد شرعت القوات العثمانية فى العراق ، التى وضعت تحت قيادة فيضى باشا تستعد للزحف إلى نجد .

وبالمقارنة بالوثيقتين المتبادلتين بين عبد العزيز بن سعود والأميرالاى حسين شكرى ، يتبين لنا أن لهجة عبد العزيز بن سعود الشديدة إزاء السلطات العثمانية قد أصبحت هنا قريبة من الملاينة وكأنها انحناءة للعاصفة . ولن يلبث عبد العزيز أن يعود إلى شدته إزاء العثمانيين بعد وقت قصير على نحو ما سنشاهده من موقفه من سامى باشا الفاروقى .

وقد وصف (محمد حسين) - نائب القنصل البريطانى فى مكة - شريف مكة بأنه زعيم القبائل العربية ومشايخهم Leader of the Arab Tribes and their Sheikhs . وهذه صفة تعطى لشريف مكة مكانة عالية فى منطقة الجزيرة العربية . وهذا هو فى اعتقادنا أول وصف لشريف مكة على هذا النحو . وهو يحتاج إلى مناقشة رغم أنه مصطلح صادر من شخصية غير ذات أهمية .

نص الوثيقة

Mr. Townley to the Marquess of Lansdowne - (Received January 30)

(No. 53)

My Lord, Constantinople, January 24, 1905

WITH reference to my despatch No. 972 of the 20th ultimo, I have the honour to foward to your Lordship, herewith, copies of two Memoranda by the British Vice Consul at Jeddah, on the condition of affairs prevailing in the Nejd .

I have & c.

(Signed) WALTER TOWNLEY

Inclosure in No. 54

Memoranda by Vice- Consul. Hussein respecting Affairs of Nejd

(1)

ABOUT a fortnight ago a messenger arrived at Mecca with letters from Bin Saood to the Grand Shereef and the Vali of Hedjaz .

It is reported that Bin Saood wrote to the Grand Sheref that as his Highness is the recognized leader of the Arab tribes and their Sheikhs, so he considered it necessary to make him the channel of all correspondence betwwen him and the Sublime Porte or His Imperial Majesty the Sultan .

He goes on to say that he has no idea of revolting against the Turkish Government, nor to disobey their orders; and as he is the lawful ruler of Nejd, and he has defeated the usurper, Bin Rashid, he was willing to accept any reasonable terms imposed on him by the Imperial Government and to carry them out faithfully , He also mentioned in his letter that he was sorry for having fought the turkish troops in Nejd, but as they were helping his antagonist, Bin Rashid, he was obliged to do so in self-defence. He promised

to return to any person appointed by the Government all the booty , including guns, rifles belonging to the Turkish troops, taken in battle with Bin Rashid.

He also informed the Grand Shereef that at the request of his Highness he has allowed the Bassam family to return to their home (Aneza), with all their property, and that the Bassams will testify to the kind treatment they have received at his hands. It is also reported that telegraphic correspondence had passed between the authorities at Mecca and Constantinople .

The messenger has returned to Nejd three days ago with sealed letters to Bin Saood, both from the Vali and the Grand Shereef, but the contents of these are not known.

(Signed) MOHAMMED HUSSEIN.

January 3, 1905.

(2)

WITH reference to the last Memorandum on the affairs of Nejd, I have the honour to report that I have come to know from the son of Abdulla Bassam, residing in this town, that though Bin Saood has informed the Grand Shereef that he received a letter from Abdulla Bassam from Riad, in whieh is mentioned that the Bassam family have given up the cause of Bin Rashid, and henceforth will be faithful to the cause of Bin Saood; no mention is made in this letter that the family has been permitted to return to their home. My informant considers that the letter was most likely written under pressure from Bin Saood or to gain his favour with the object of getting freedom to return to Aneza. It is believed the Bassams have not yet left Riad.

(Signed) MOHAMMED HUSSEIN.

January 11 , 1905 .

P.S. - It is also reported that Ahmed Faizi Pasha has left Bagdad with 10 battalions of infantry, about 1,200 cavalry, and 36 field and 6 heavy guns.

M . H

(١٠)

برقية عبد الرحمن بن فيصل
إلى الباب العالى ١٥ - ٢٨ يناير ١٩٠٥

مقدمة

إن اتجاهات عبد العزيز بن سعود نحو الوصول إلى تسوية مقبولة تبلورت فى برقية بعث بها عبد الرحمن بن فيصل إلى الباب العالى . نوردها بنصها الإنجليزى فقط حيث لم نعثر على نصها العربى الذى من المرجح - إن لم يكن من الأكيد - أنها موجودة فى الأرشيف العثمانى فى استنبول . وفى هذه البرقية اتجاه قوى نحو الاعتراف بالخلافة العثمانية ، والاستعداد لدفع الأموال المفروضة على ديرتة فى حينها ، بل ذهب إلى استعداده لتقديم المساعدات للقوات الشاهانية .

ويبرر عبد الرحمن بن فيصل رؤيته للأزمة المستطيرة بين آل سعود والسلطان العثمانى بما يلى :

١ - أن السلطات العثمانية المحلية تعمدت تشويه صورة آل سعود لدى السلطات العليا فى الأستانة / استنبول تغطية لفسادهم لما يقترفونه من قتل وسفك دماء المستأجرين للأراضى من أتباع السعوديين ، فضلاً عن مصادرة مزارع النخيل والاستيلاء على محاصيلهم(١).

٢ - أن عبد العزيز آل رشيد استخدم الأموال لدى دوائر الباب العالى فى استنبول لتحريضها عليه . وأن سلوك عبد العزيز آل رشيد لا يرقى إلا إلى سلوك مغتصب لحقوق آل سعود ، بل أنه كان فى عرف آل سعود مغتصباً لحكم حائل أيضاً .

ويرى البعض أن هذه البرقية نموذج لتوزيع الأدوار بين الوالد والابن : بين عبد الرحمن بن فيصل وابنه عبد العزيز ، على اعتبار أن عبد الرحمن خلال الثلاثين سنة الماضية كان قد عرك الدبلوماسية المعقدة فى المنطقة ، وأنه كان على دربة عالية فى التعامل مع مختلف القوى هناك .

---

(١) F.O. 406/20 . No. 71.

ولكن يذهب البعض إلى أن عبد الرحمن – في هذه البرقية – كان بالاتفاق مع ابنه – التزم بالاعتراف بالخلافة العثمانية التي كان عبد العزيز لايرى للعثمانيين أي حق فيها. وهذا ما أوضحه عبد العزيز بن سعود للأميرالاي حسين شكري. وأنه كان هناك اتفاق بين عبد الرحمن وابنه عبد العزيز أن يقوم الوالد بهذه الخطوة ، وأن ذلك يعطي لعبد العزيز الفرصة فيما بعد لكي لايلتزم بما ورد في البرقية على اعتبار أنه هو نفسه لم يلتزم بنفسه . وهناك ما يشير إلى ذلك من جانب عبد العزيز من حيث تقييمه لمثل هذه العملية بأنها مجرد تقديم (قصاصة من ورق) لا أكثر ولا أقل .

على أن التطورات التالية سارت لصالح عبد العزيز بن سعود في صراعه ضد آل رشيد إذ لم يلبث أن دارت الدائرة على عبد العزيز آل رشيد وقتل في وقعة الشنانة . الأمر الذي أضفى على الصراعات بعداً جديداً ، نظراً لما كانت عليه الزعامة والقيادة الفردية في ذلك الوقت وفي تلك الجهات من تأثير فعال جداً في توجيه دفة الأمور وفي إحراز النصر أو الهزيمة فضلاً عن استمرارية تماسك الجبهة أو تفككها .

نص الوثيقة

Inclosure 2 in No. 71

Translation of an Arabic Telegram dated January 15 (28) 1905 and signed " Abdur Rahman Saad-es- Saadoun "

MY Humble Petition, to be laid, by the intermediary of the Council of Ministers, befor the throne of His Imperial Majesty, our gracious Sovereign, Commander of the Faithful. Caliph of the Prophet of the Lord of all the Worlds:-

I am one of the faithful servants of the Shadow of God, whose family, from father to son, has lavished its blood and treasure in the glorious service of the Caliphate. I have no thought or aspiration save that of meriting the approbation of my Sovereign. It is for me a most sacred obligation to contribute the Imperial taxes at their due and proper season, and to serve and assist the divinely-aided troops of the Shadow of God. Only the local authorities, with a view to advancing their personal interest have misrepresented this weak slave to the Caliph, making him appear a traitor and a rebel . Whereas these same authorities for many years past, have not ceased to seize and misappropriate the produce of my farms and date plantations, not even hesitating to kill and murder my tenants and collectors, and in order to conceal their own traitorous conduct in this respect they continue to augment their slanderous accusations against myself .

As for the schemes and intentions of Abdul Aziz-ibn-er-Rashid, they are to overrun the whole of Nejd and Irak. Therefore to further these aims he sends to Constantinople persons in his service bearing "dinars" (F s.d.) and presents, who calminate those faithful ones who are opposed to his aggressive schemes. These, however, will be one and all known to His Majesty.

I, together with Jasim-bin-Thain, . Kaimakm and Head Sheikh of Katr, openly represented my submission and obedience in our telegrams of the 28th November (10th December) last. I am submissive to every order and command of the Shadow of God. I neither follow the instigations of any forigner, nor am I the means of communication with any foreigner. In fact, under the protection of His Imperial Majesty there is no seditious agent or medium of foreigners in all these regions. Ibn Rashid's representatives at the capital naturally strive to provoke the wrath of His Imperial Majesty against me, but His Majesty is the judge. He dose not desire to persecute his most faithful servants .

If the Coming Commission of Inquiry dose not establish the truth of my assertions, I once more assure His Majesty that I willingly accept the severest penalty that he can impose upon me, Let the Imperial Justice decide.



ثانيًا: التأريخ فى خدمة صناعة القرار الاستعمارى
(مهمة لوريمر فى الخليج) ١٩٠٤ - ١٩٠٥

مدخل :

أطلق على موسوعة لوريمر : : G.J.Lorimer : Gazetteer of the Persian Gulf : Oman and Central Arabia .

وفى الوثائق التى نحن بصددها أطلقت عليها عدة مسميات :
Gazetteer of Parisa, Gazetteer of India ، إلا أن العنوان الأول هو الذى اعتمد وصدرت به الموسوعة باللغة الإنجليزية . وظلت الطبعة الأولى الإنجليزية (١٩٠٥) والطبعة الثانية (١٩٠٨) محظورة إلا على صانع القرار الإنجليزى حتى افرج عنها فى ١٩٦٠ بمقتضى قانون الإفراج عن الوثائق التى يمر عليها ثلاثون عامًا .

وكان قد وصلت نسخة منها (القسم التاريخى) إلى مكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة وكان د. عبد العزيز سليمان نوار أول من استخدمها خلال إعداده لدرجة الدكتوراة (١٩٦٣) ، ثم أصبحت متداولة . وبتكليف من الشيخ أحمد بن على آل ثانى - شيخ قطر - تمت ترجمة القسم التاريخى إلى العربية (١٩٦٧) فى سبعة أجزاء . إلا أن الطبعة الأولى للترجمة العربية كانت مليئة بشكل شديد بالأخطاء خاصة فى أسماء الأعلام والأماكن والأحداث[١] .

---

(١) من ذلك كندهار وصحها (قندهار) ، تاهسب (طسب) ، مامودى (محمودى) ، ماهومت (محمد) ، سوفى (صوفى) ، بندر ريك (بندر ريق) ، خاراج (خرج) ، الهوله (الحوله) ديكورشيه (ديكورش) ، مبعوث موغال (مبعوث المغول).

يعتبر لوريمر واحداً من أبرع من كتب موسوعة عن تاريخ وجغرافية الخليج فيما عرف باسم Gazetteer of the Parsian Gulf وشاعت بين الباحثين ترجمتها إلى اللغة العربية باسم «دليل الخليج » لمؤلفه ج . ج . لوريمر G . J. Lorimer ، وكان للوريمر هذا مسألة ذات أهمية ليس فقط عند قراءة هذه الموسوعة التى تركها مصدراً للباحثين فى تاريخ الجزيرة العربية والعراق وإنما كنموذج لوضع التاريخ فى خدمة صناعة القرار ، وهنا صناعة القرار الاستعمارى الإنجليزى .

وواجه مترجم هذه الموسوعة مشكلة سياسية إذا ما ترجم عنوان هذه الموسوعة ترجمة دقيقة إلى العربية وهى " وقائع الخليج الفارسى " على اعتبار أن العرب فى النصف الثانى من القرن العشرين انطلقوا وراء الشعارات التى انطلقت من مصر ثورة ٢٣ يوليو معلنة الاتجاه القومى العربى فأطلقت على الخليج مصطلح (الخليج العربى) بدلاً من الخليج الفارسى . فلو أطلق المترجم على الموسوعة مصطلح (الخليج الفارسى) تعرض لأزمة شديدة مع القوميين العرب ، وأن أطلق مصطلح (الخليج العربى) تعرضت قطر لاحتجاجات شديدة من جانب إيران المتحفزة للخليج إذا ما حانت لها الفرصة ، فآثر أن يرضى الطرفين وترجم العنوان إلى : دليل الخليج .

ومما لاشك فيه أن حكومة الهند وضعت تحت عينيه واعين المساعدين له مختلف الوثائق والتقارير . ولكن الدراسات التى صدرت عن ج . آ . سالدانها J . A . Saldanha تعتبر أساسًا من الأسس التى ساعدت على إخراج موسوعة لوريمر بهذا الشكل الإبداعى . ومن أبرز أصدارات سالدانها فى هذا الصدد : Precis of Nejd , Precis of Katar .

وقد تناول موضوع مهمة لوريمر فى العراق والخليج مختلف الدوائر السياسية / الاستراتيجية الإنجليزية فى الهند البريطانية (حكومة الهند البريطانية فى سيملا) ، وحكومة لندن ، والسفارة البريطانية فى استنبول والقنصل العام البريطانى فى بغداد ، وقنصل بريطانيا فى البصرة ، والمسئول الإنجليزى فى الكويت ودوائر الباب العالى والسلطات الحاكمة العثمانية فى ولاية بغداد ، وولاية البصرة ومتصرفية الأحساء .

ومن النظم الوثائقية البريطانية المعمول بها منذ القرن التاسع عشر تكليف مجموعة عالية المستوى من الوثائقيين ليقوموا بدراسات للوثائق الموجودة فى دور المحفوظات البريطانية، ثم يقومون باستبعاد الوثائق غير المهمة ، وتجميع الوثائق المهمة التى تخدم موضوعًا معينًا ،

وطباعة هذه الوثائق طباعة جيدة لتصبح فى متناول صانع القرار الإنجليزى . وقد عرفت هذه المجموعات الوثائقية بعنوان : Confidential Prints ومنها المجموعة التى تقوم بدراستها واستخراج الموضوعات منها . ابتداء بـ : Confidential Prints : F.O.406/20 .

وقد يقول قائل أن هذه مجرد وثائق منتقاة ، وأن الانتقائية استهدفت تضليل القارىء عن الأهداف الاستعمارية البريطانية . وهذا نوع من النقد الساذج للأسباب التالية :

١ – أن مثل هذه المجموعات أعدت ليستخدمها المسئولون الإنجليز فقط وأفرج عنها بعد مرور حوالى نصف قرن من إصدارها وكان محظوراً على غير الإنجليز المسئولين الإطلاع عليها.

٢ – أن هذه المجموعات قد درسنا العديد منها دراسة دقيقة ، وقارناها بالمجموعات الوثائقية الضخمة التى أخذت منها . فلم نصادف اختلافًا جوهريًا .

ولم تتعرض موسوعة / دليل الخليج إلى دراسة تحليلية حتى الآن ، رغم الحاجة الشديدة إليها . ولذلك آثرنا أن نفتح هذا الباب بأن نتناول " مهمة لوريمر " – صاحب هذه الموسوعة / الدليل فى العراق والخليج والجزيرة العربية فى ١٩٠٥م كمدخل من المداخل المطلوبة لدراسة تحليلية لهذه الموسوعة / الدليل .

(١١)

طبيعة مهمة لوريمر
فى العراق والخليج ١٩٠٤

مقدمة

كانت الترتيبات قد وضعت لرحلة (مهمة) لوريمر ومن معه إلى الخليج العربى فى وقت كان فيه والى البصرة على علاقات ودية مع المسئولين الإنجليز هناك . وقد تم عزل والى البصرة قبيل وصول البعثة إلى المنطقة الواقعة بين الكويت والبصرة ومن ثم لم تكن هناك علاقة بين عزله و (مهمة) لوريمر . ولكن فى اعتقادنا أن العزل كان بهدف إسناد الولاية إلى من هو أقدر على التعامل مع التطورات الجديدة التى وقعت بعد هزيمة الكويت أمام حائل فى وقعة (الصريف) وبعد استيلاء عبد العزيز بن سعود على الرياض والشعور العام بأنه سيثبت أقدامه وسيتطلع إلى استرداد ملك آبائه ، وهى نفس التطورات التى اعتقد أنها وراء مجىء لوريمر إلى هذه المنطقة الساخنة فى مطلع ١٩٠٥ .

ويلقى المرفق ١١ للبرقية رقم ٤٥ من الميجور كوكس Cox[١] إلى حكومة الهند الضوء على الصفات المتعددة التى أصبغت على لوريمر ورفاقه : -

- فقد وصفه كوكس أنه " متقصى حقائق " .
- وأن مهمته من هذا المنطلق هى أن يقوم بعمل مسح حول الكويت براً وبحراً .

كانت رتبة لوريمر فى الجيش البريطانى (الهندى) هى ليوتنانت ، وهى رتبة كبيرة عسكرية على دربة عالية فى العمليات والأوضاع الاستراتيجية . ومن ثم يكون لوريمر قد جمع بين خبرات عالية المستوى متعددة المجالات :

١ - التأريخ Historiography .

٢ - الجيمورفولوجى والمسح الطبوجرافى Gymorphology.

٣ - رجل المخابرات العسكرية القادر على جمع المعلومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

٤ - مسئول استراتيجى عما يؤثر فى المصالح الإنجليزية فى مختلف المجالات .

---

(١) المسئول البريطانى فى الكويت .

Eclosure I in No. 45

Government of India to Sir N. O Conor

(Telegraphic) Simla , Novembes 8 , 1904

MESSRS. LORIMER and Gabriel will visit Southern Persia and Turkish Arabia for a few weeks, next month or somewhat later, in order to collect information for the " Gazetteer of Persia " Kindly obtain for them all nesessary facilities for travel, and arrange for them to be allowed to carry arms as private, not official travellers.

Repeated to Political Resident in the Persian Gulf and His Britannic Majesty's Consul-General at Bagdad, for information.

Inclosure 2 in No. 45

Government of India to Government of Bombay

Sir, Simla, November 8, 1904

I AM directed to forward herewith two passports for Mr. J.G.Lorimer, C.I.E., and Lieutenant C.H. Gabriel who are about to proceed to Persia and Turkey for the Purpose of travel under the orders of the Government of India to Collect information for the Persian Gulf Gazetteer.

2 . I am to request that you will be good enough to have the passports vised by the-Peresian and Turkish Consular authorities at Bombay and returned to this office as soon as possible .

I have & c

(Signed) E. H. S. CLARKE

Inclosure 3 in No. 45

Govenment of India to Major Newmarch

(Telegraphic) Simla , November 9 , 1904

In Continuation of my Telegram dated 8th November, Lorimer and Gabriel wish to visit Hasa as private travellers. Can you obtain special permits from the Wali of Bussorah or do you advise the Foreign Office to apply to Constantinople for them ? .

Inclosure 4 in No. 45

Mr. Townley to Government of India

(Telegraphic) Pera, November 9, 1904

YOUR telegram November 8th regarding vist of Messrs. Lorimer and Gabriel to Turkish Arabia - Please give a list of the vilayets through which they propose to travel .

Inclosure 5 - in No. 45

Major Newmarch to Govenment of India

(Telegraphic) Bagdad; November 10, 1904

YOUR letter of 21st October and your telegram of 9th instant. No telegram deted 8th November has reached me There is no objection to the proposed tour as far as district of Bagdad is concerned but objections will probably be raised by Turks to the journey in Hasa . My friend Fakhr Pasha has been removed from Bussorah. I therefore suggest that you should apply direct to Constantinople, or the journey should be made without permission.

Inclosure 6 in No. 45

Government of India to Sir N. O'Conor.

(Telegraphic.) Simla, November 11, 1904

YOUR telegram dated 9th November. The vilayets of Bussorah and Bagdad will be visited by Messrs. Lorimer and Gabriel .

Inclosure 7 in No. 45

Government of India to Government of Bombay .

Sir, Simla, November 15, 1904.

In Continuation of my letter dated 8th November, 1904, with whicl were forwarded passports for Messrs. Lorimer and Gabriel to be vised by the Persian and Turkish Consular authorities at Bombay, I am directed to request that the passports when completed may be forwarded to Mr. J. C. Lorimer, c/o Messrs. Melver, Mackenzie and Co, Kurrachee.

2 . It is important that the passports should reach Kurrachee by the 25th November at latest .

I have & c.

(Signed) L. RUSSELL.

Inclosure 8 in No. 45

Government of India Major Newmarch.

(Telegraphic.) Simla, November 15, 1904

MY telegram dated 8th November, to His Britannic Majesty's Ambassador at Constantinople, repeated to you : -

" Next month, or somewhat later, Messrs. Lorimer and Gabriel will spend a few weeks visting Turkish Arabia in order to collect information for the " Gazetteer of Persia " Kindly procure for them all necessary facilities for their journey, and arrange for them to be allowed to carry arms as private, not official travellers .

Inclosure 9 in No. 45

Government of India to Sir N. O'Conor

(Telegraphie.) Simla, November 11, 1904

IN continuation of my telegram of 11th November it is understood that Bussorah vilayet includes Hasa and Katif .

Inclosure 11 in No. 45

Major Cox to Government of India

(Telegraphic.) Bushire, December 13, 1904.

Mr. LORIMER'S tour to Koweit will not further affect the situation there, as the " Investigator " has just been surveying in and around Koweit both by sea and land. As the Sheikh himself was expected, I accordingly allowed him to preceed. When I was at Bussorah a few days ago, I was informed that the collection of camels for the Nejd transport was going on briskly .

(١٢)

خط سير مهمة لوريمر
١٩٠٤ / ١٩٠٥

مقدمة

إن خط سير مهمة لوريمر محدد منذ أواخر ١٩٠٤ أى منذ أن سعت السلطات البريطانية فى الهند إلى الحصول على تأشيرات من القنصليتين العثمانية والفارسية فى بمباى . وقد تحددت على النحو التالى :

١ - فارس فى منطقتى بوشهر وبندرعباس .

٢ - خوزستان .

وهاتان المنطقتان تابعتان لفارس وإن كانت هناك بعض المناوشات العثمانية حول بعض المناطق فى خوزستان (عربستان) .

٣ - بغداد - البصرة - الإحساء - القطيف . وكانت كل من بغداد والبصرة ولاية مستقلة أما الإحساء ومن ضمنها القطيف فكانت متصرفية . وهى مرتبة إدارية أقل من مرتبة الولاية. ولكنها متصلة اتصالاً مباشراً بالحكومة المركزية فى الآستانة / القسطنطينية - استنبول . ومع ذلك ، فإن وضعية الإحساء (الحسا) الجغرافية والسياسية والاستراتيجية والاجتماعية فى مطلع القرن العشرين قد أضفت على الإحساء أهمية عالمية كبرى . الأمر الذى كان يتطلب من الإدارات المتجاورة العثمانية أن تتعاون مما أعطى لوالى البصرة نوعًا من الكلمة المسموعة لدى متصرف الإحساء .

٤ - قطر : وكانت فى عرف الباب العالى تابعة للدولة العثمانية ، وكانت تحت حكم آل ثانى الذين كانوا يعملون على الخروج عن الدولة العثمانية ولا يجدون غضاضة - وهم يسعون إلى ذلك - فى أن يضعوا أنفسهم تحت الحماية البريطانية .

٥ - الساحل المهادن وهو معروف أيضًا بساحل مشيخات عمان . ووصفة بالمهادن هنا ترجع إلى أن شيوخ المنطقة الساحلية المحصورة بين سلطنة عمان ومشيخة قطر / والإحساء كانوا منذ ١٨٢٠ قد عقدوا اتفاقيات مع الإنجليز الذين وضعوهم تحت الحماية البريطانية ،

فأصبحوا غير قادرين على الأقدام على أى عمل له طابع عسكرى إلا بموافقة صريحة من مسئول إنجليزى فكانت هذه سمة السلام الإنجليزى فى منطقة الخليج . وهو من وجهة نظرنا سلام مفروض مقترن بالاستسلام Pax Britannica . وكانت رأس الخيمة قبل ١٨٢٠ هى صاحبة اليد الأعلى فى توجيه أمور مشيخات الساحل وفى القيام بعمليات الجهاد (القرصنة) فى الخليج العربى ، وبعد ذلك أصبحت لأبى ظبى - وحتى الآن - المكانة الأولى .

٦ - الشارقة : ويبدو أن الشارقة منذ القرن السابع عشر والثامن عشر قد اتخذت لنفسها مكانة خاصة بها سواء قبل ١٨٢٠ أو بعدها ، وحتى الآن .

٧ - شبه جزيرة عمان : وهو مصطلح جغرافى لا نصادفه إلا نادراً وهو غير دقيق حيث أن عمان محاطة بالمياه من جانبين فقط (الخليج وبحر العرب) وهو هنا يقصد سلطنة عمان وبصفة خاصة مسقط وصور وشيناص وصحار وساحل الباطنة .

٨ - البحرين : وقد طلب من لوريمر أن يعد لها خريطة وهى على حد تعبير خورشيد باشا[1] تعتبر بمثابة مالطة الخليج من يسيطر عليها يتحكم فى الخليج ، وكانت تحت الحماية البريطانية بمقتضى معاهدة عقدتها مع الإنجليز فى ١٨٢٠ ولكن ظلت صاحبة كيان مستقل عن بقية مشيخات الساحل المهادن .

٩ - الكويت : وهى صاحبة الأزمة المستطيرة دوليًا منذ أن عقد الشيخ مبارك اتفاقية مع الإنجليز واضعًا نفسه تحت الحماية البريطانية (١٨٩٩) دون أن ينفصم تمامًا عن الدولة العثمانية . وكان ميالاً بشدة نحو الإنجليز وبحث عبد العزيز بن سعود أن يحذو حذوه فى هذا الاتجاه . ومثله فى ذلك كان شيخ قطر صديق عبد العزيز بن سعود (١٩٠٥) .

١٠ - بنو ياس : تركيب قبلى قوى على ساحل الخليج فى شريط الساحل المهادن . وكان لهم تاريخ طويل سواء فى الصراعات البرية أو البحرية .

١ - المناصير : وقد وصفتهم الوثيقة بأنهم من غير المعروفين لدى المسئولين الإنجليز وكذلك المناطق التى كانوا يجوبونها فى الصحراء . وهم كذلك من القبائل التى لها تاريخ طويل فى الصراعات القبلية فى تلك الجهات .

---

(١) قائد قوات محمد على باشا إلى نجد والإحساء ١٨٣٨ - ١٨٣٩ / ١٨٤٠ .

وبدراسة الوثائق التى تناولت موضوع (مهمة لوريمر) لم نجد فيها اهتمام قوى بالساحل الشرقى أو ببوشهر أو بندر عباس ، أو بمعنى آخر كانت المهمة تركز على المنطقة المحصورة بين حائل / البصرة / الكويت حفر الباطن / القطيف / الرياض . وهى المنطقة الساخنة حينذاك . أو بمعنى آخر المنطقة الأكثر تأثراً بالصراعات الدولية على خطوط المواصلات العالمية وبالمتغيرات التى استجدت على المنطقة من حيث اتساع نفوذ آل رشيد بعد نكبة الكويت فى الصريف وعودة عبد العزيز إلى الرياض .

Inclosure 12 in No. 45

Projected Tour of Persian Gulf Gasetteer Staff, 1904 - 1905.

November 26 - Mr. Lorimer, Lieutenant Gabriel, and native surveyor leave Kurrachee .

November 29 - Touch at Muscat and discuss matters with Major Grey.

December 1 - Touch at Bunder Abbas, and communicate, if possible, with Assistant Political Agent.

December 4 - Touch at Bahrein and interview Captain Prideaux .

December 5-7 - Halt at Bushire, and arrange various matters with the Resident, or, in his absence, with the First Assistant.

December 8 - Arrive Koweit, where. Mr. Gaskin will be in readiness to join the party. An excursion will be made, if possible, westwards. During the halt the surveyor will fix as many points as possible in different directions. Mr. Lorimer and Lieutenant Gabriel will then, march by land to Bussorah to avoid quarantine and Custom-house delays, being joined by the British Consul from Bussorah if possible at Koweit itself, or otherwise at some intermediate point, Mr. Gaskin will remain at Koweit till the return of the surveyor from the the direction of Bussorah, when both of them will start for Bahrein, arriving there on the 30th December.

January 1 - 10 - Mr. Lorimer and Lieutenant Gabriel will visit Bagdad, Najaf, Kerbela, and such other important points as may be practicable, returning to Bussorah about the 20th January Meanwhile, Mr. Gaskin will be working at Bahrein, and the surveyor will begin a map of the island, but must join Lieutenant Lorimer at Mohammerah not later than the 20th Jannary .

January 21-Mr. Lorimer and Lieutenant Gabriel will leave Bussorah by land for some point in Khuzistan, where Lieutenant Lorimer with the sur-

veyor will meet them by appointment. The party will tour in Khuzistan for about three weeks. Mr. Lorimer and lieutenant gobriel with the surveyor will reach Buchhir either by land or by sea from Mohammerah about the 15th February.

February 16 - Mr. Lorimer and Lieutenant Gabriel with the surveyor will proceed to Bahrein, and complete the inquiries-commenced by Mr. Gaskin. The surveyor will finish his map of the Bahrein Islands- Excursions will be made if possible to Hasa and Katar.

March 1 - Mr. Lorimer and Lieutenant Gabriel will return to Bushire and make locel inquiries along the Persian coast from Bushire to Bunder Abbas. Mr. Gaskin, taking the surveyor with him, will proceed direct to the Trucial Chief's coast, and endeavour to arrange for an excursion through the unknown Bani Yas and Manasir country towards Katar. The Surveryor meanwhile, will do what he can towards mapping the interior of the Trucial Chief's territory.

March 12 - Mr. Lorimer and Lieutenant Gabriel from Bunder Abbas and the surveyor will join Mr. Gaskin at Abu Dhabi, and make an excursion to westwards, returning to Sharga about the end of the month.

April 1 - The whole party will march across the Oman Peninsula from Sharga vià Mahdheh to Shinas or Sohar, and proceed then by sea to Muscat, touching at some points on the Batinah coast.

April 12 - Reach Muscat and remain till the 20th.

April 21 - Start from Muscat for Mahot vià wadi Halfein, arriving about the 8th May.

May 8 - Return to Muscat by sea, calling at Sûr, and arriving at Muscat about the 15th May.

N.B.- No assistance will be required from R.N. or R.I.M. vessels till the 1st March 1905, but it is very desirable that a Government vessel should be available (1) from the 1st to the 12th March for the coasting journey from

Bushire to Bunder Abbas, and thence to Sharga and Abu Dhabi; (2) for the return from Abu Dhabi to Sharga about the 1st April; (3) from about the 5th to the 12th April for the voyage along the Batinah coast; (4) from about the 1st to the 15th May for return from Mahot to Muscat : in other words, this programme must be altered unless a Government vessel can be made available from the 1st to the 12th March, from the 1st to the 12th April, and from the 1st to the 15th May .

(Singned) J.G. LORIMER

October 14, 1904

Inclosure 13 in No. 45

Mr. Brodrick to Government of India

(Secret)

(Telegraphic) P January 21, 1905

PLEASE refer to the letter from your Foreign Secretary of the 20th December, 1904, inclosing papers regarding " Persian Gulf Gazetteer "

Turkish Government have protested, both at Constantinople and through their Ambassador here, regarding the movements of officers in Turkish terriory. It is understood that the party have abandoned their proposed vist to Nedjef. In the circumstances they had better give up the vist to El Hasa also; and elswhere on their tour their movements should be confined to the vicinity of the coast There was never, I understand, any intention of their visting Nejd or the interior of Arabia.

Complaint was also made on the 28th December by Turkish Ambassador that marks have been planted at points at a distance from Koweit by certain British functionaries, who arrived at Koweit with five vessels; that tribes near Um Kasr and Kiazimie have been invited by these persons to submit to Sheikh Mubarak, and that the British flag has been hoisted by Mubarak over his palace, I shall be glad to be furnished with a report on the Subject .

(١٣)

مذكرة من مستر لام إلى وزير خارجية بريطانيا
بشأن احتجاجات الباب العالى على مهمة لوريمر ٥ يناير ١٩٠٥

مقدمة

بعث المسئولون العثمانيون باحتجاجات إلى الحكومة الإنجليزية فى لندن وإلى ممثليها فى ولاية بغداد على نزول ضباط انجليز ورفعهم العلم الإنجليزى فى منطقة بين الكويت والبصرة ، وأنهم - أى الإنجليز - يسعون إلى تشجيع عبد العزيز بن سعود ضد الدولة العثمانية .

وقد نفى المسئولون الإنجليز بتاتًا نية التدخل فى الشئون الداخلية للدولة العثمانية أو نية تشجيع عبد العزيز ، وإنما الهدف من وصول لوريمر وجابريل هو جمع معلومات طبوغرافية لازمة لإصدار طبعة جديدة من دليل الخليج . وأنهما غير مكلفين بأية مهمة سياسية .

وأكدت الدوائر الإنجليزية المسئولة أن السلطات العثمانية أحيطت علمًا بقدمهما فى الوقت المناسب .

ولكننا نلاحظ ما يلى :

- لم يحاول أى مسئول إنجليزى نفى رفع العلم الإنجليزى بواسطة كل من لوريمر وجابريل فى موقعهما بين الكويت والبصرة . وموضوع رفع العلم الإنجليزى له دلالاته الخطيرة فى ذلك الوقت إذ يعنى أنها أرض (إنجليزية) .

- أن الموقع الذى اتخذه هذين الرجلين هو على الطريق من البصرة إلى الكويت ومن الكويت إلى نجد ومن حائل إلى الكويت .

- إن مثل هذا الطريق أصبح الآن يطلق عليه (طريق عسكرى) حيث أن تلك الأطراف (الدولة العثمانية - والى البصرة - شيخ الكويت - أمير نجد - أمير جبل شمر) يطرقونه بطريقة أو بأخرى للاستعدادات العسكرية توقعًا لدى كل منهم لمواجهة كبيرة تقع إن عاجلاً أو آجلاً .

ومن ثم فنحن نعتقد أن المسئولين الإنجليز كانوا يبحثون عن طريقة مباشرة لمراقبة التطورات (البَرية) التى تجرى فى هذه المنطقة العالية الحساسية ، وحيث أنه من المتفق عليه عدم

التورط فى الصراعات (الداخلية) فإنهم كانوا فى حاجة إلى مراقبة هذه الصراعات بأسلوب جديد ألا وهو إرسال خبراء فى المنطقة للقيام بعمليات علمية ومراقبة ما يجرى هناك .

ونستشف من بين السطور التى كان يكتبها المستر لام Lamb ووزير خارجية بريطانيا المستر لانسدون Lansdowne والمستر تونلى Townley ومن المكاتبات العثمانية فى هذا الصدد :

١ - أن المهمة التى اسندت إلى لوريمر وزميله كانت غامضة غموضًا مقصوداً .

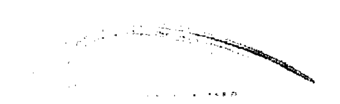
٢ - أن غموضها كان من فعل السلطات الإنجليزية الدبلوماسية والسياسية .

٣ - أن مسئولين إنجليز تعمدوا التمويه بشأن هذه المهمة ليس فقط إزاء من هم موجهة نحوهم هذه المهمة بل كذلك إزاء بعض الدوائر المسئولة عن صناعة القرار الإنجليزى .

٤ - أن الدوائر العثمانية فى العراق وفى الحكومة المركزية كانت تبدو شديدة ضد مثل هذه الأمور ولكنها تبدأ فى التراخي والوصول إلى حل أو تسوية ترضى كافة الأطراف . وأن هذه التسوية غالبًا ما تكون لصالح الدولة الأقوى (بريطانيا) .

٥ - إن مسألة رفع علم إنجليزى عند الكويت أصبحت مطروحة على الأسماع والأنظار . وهذا ما كان يهدف إليه الإنجليز .

والسبب المعلن لمهمة لوريمر هى الحصول على معلومات جديدة لتزويد الطبعة الجديدة من دليل الخليج بها . حقيقة كان الدليل قد انتهى عند ١٩٠٥ ، وطبعت منه نسخ محدودة جداً ، فى ١٩٠٥ ، اتجهت الدوائر الإنجليزية إلى إعادة طبعه ، وفعلاً تم الطبع فى ١٩٠٨ دون أن تدخل تعديلات جوهرية على الطبعة الثانية . وهنا نبادر إلى التساؤل : لماذا أثارت مهمة لوريمر هذه الضجة عندما أراد أن يضيف إلى ما لديه من معلومات ، معلومات مستجدة فعلاً؟ . اعتقد أن الطريقة الاستفزازية التى قدم بها لوريمر إلى الأراضى العثمانية فى ظروف صعبة هى التى أثارت تكهنات بأنها مهمة استراتيجية لا أكثر ولا أقل . ومع أننا نرجح هذا الرأى إلا أننا نضيف إليه أنه - أى لوريمر - كان يضع كافة الاعتبارات أمامه : إعداد جديد للدليل وتقديم تقرير استراتيجي وافى لصانع أو صناع القرار الإنجليزى خلال تلك الظروف الحساسة جداً محليًا وإقليميًا ودوليًا .



نص الوثيقة

Inclosure in No. 30

Memorandum by Mr. Lamb.

THE Secretary-General of the Ministry of Foreign Affairs to-day communicated to me a Vizierial letter, dated the 21st (3rd) instant, from Moukhilisc Pasha, the Commandant and Vali of Bussorah, in which he states that the secret agent dispatched by him to Koweit for the purpose of inquiring into the doings of the Englishmen, who had been displaying flags in and about that town, had returned to Bussorah. This agent's report fully corroborated the statements made in his previous telegramms of the 15th (28th, 17th (30th), and 19th (1st), respectively, viz, that the object of these Englishmen was principally to send emissaries to Ibn Saoud to incite him to still further develop and extend the scope of his seditious designs against the Imperial Government.

The Vizierial letter went on to say that these and other nefarious proceedings of the Englishmen demand attention, and directed the Ministry of Foreign Affairs to make representations to the British Embassy with a view to causing a stop to be put to them .

I caused an answer to be returned to this communication to the effect His Majesty's Embassy meet these insinuations with a categorical denial, and that the idea of English officials inciting Ibn Saoud against the Imperial Government was too absurd for discussion, and that the officials who had recently visited Koweit were no doubt Messrs. Lorimer and Gabriel, who had no political mission whatever, but were simply charged with the collection of topographical information for a new edition of the Gazetteer, as His Majesty's Embassy had not failed to inform the Porte in due visit to the vilayets of Bussora and Bagdad.

(Signed) HARRY. H. LAMB

January 5, 1905.

(١٤)

رسالة من الماركيز لانسدون (وزير الخارجية البريطانية)
إلى المستر تاونلى سفيره فى الأستانة / استنبول
١١ يناير ١٩٠٥

مقدمة

شكى السفير العثمانى فى لندن لدى وزير خارجية بريطانيا الماركيز لانسدون من نزول عدد من الضباط الإنجليز عند البصرة ، وقال أنهم فى طريقهم إلى عبد العزيز بن سعود الثائر على الدولة العثمانية . وقد رفض الوزير شكوى السفير نظراً لأنه - أى الوزير - لا يعلم عن هذا الأمر شيئًا ، وأن سياسة الحكومة البريطانية هى أن لا تتدخل فيما يجرى من منازعات بين القيادات المحلية ، ولا فى الشئون الداخلية لبلاد العرب [1]. وتعجب من أن الحكومة العثمانية تثير هذه الضجة حول سبب تافه (نزول الضباط الإنجليز عند البصرة) بالقياس إلى التدخلات الكبيرة التى تقوم بها تلك الحكومة فى شئون عدن التى كانت تحت الاستعمار الإنجليزى .

وكأن وزير خارجية بريطانيا يشير على السفير العثمانى بأن على الدولة العثمانية ألا تتدخل فى شئون عدن ، وأن ترفع يدها عنها على اعتبار أنها بريطانية . وبالقياس فإن نزول عدد من الضباط الإنجليز يعد شيئًا تافهًا بالمقارنة بالتدخلات واسعة النطاق لسلطات الدولة العثمانية فى عدن البريطانية .

وربط الوزير البريطانى بين أحداث نزول الضباط الإنجليز عند الكويت واعتزامهم دعم ثورة عبد العزيز بن سعود ضد الدولة العثمانية يوحى بأن لانسدون كان يبحث عن مبرر لنزول هؤلاء الضباط أى المعاملة بالمثل ، وفى نفس الوقت يكون ذلك النزول ورقة تستخدمها السلطات الإنجليزية فى الخليج من منطلق عدم تدخل الإنجليز - على ذلك النحو - فى ولاية البصرة وفى ثورة عبد العزيز بن سعود مقابل عدم تدخل العثمانيين فى شئون عدن

---

(١) يقصد الجزيرة العربية .

البريطانية . وكان هذا من الأساليب المستخدمة فى علاج القضايا بين الدولتين العثمانية والبريطانية . وهى دبلوماسية القوة . أو هى ما يعبر عنه فى فن / علم السياسة Quid pro quo .

حقيقة أن حكومة لندن كانت - منذ فترة بعيدة - قد أصدرت تعليماتها إلى المسئولين الإنجليز فى منطقة الخليج بأن يركزوا جهودهم فى الحفاظ على مكاسب بريطانيا هناك والحصول على المزيد ، دون أن يتدخل هؤلاء المسئولون الإنجليز فى الشئون الداخلية للدولة العثمانية وبخاصة عدم التدخل إلا فى الأحداث التى تقع على السواحل الخليجية أو على صفحات مياه الخليج نفسه .

وقد التزم المسئولون الإنجليز بذلك ، ولكن هناك مرونة فى مفهوم " الشئون الداخلية " أو "الداخل " أى فيما هو وراء الساحل . حيث أن المسئولين الإنجليز كانوا يراقبون التطورات التى تقع فى داخل الجزيرة نظراً لأن ما هو معتبر أحداث فى الداخل - مثل حركة عبد العزيز بن سعود واقتتاله مع ابن الرشيد - يمكن أن يؤثر بقوة على أوضاع المناطق الساحلية المطلة على الخليج بما قد يراه هؤلاء المسئولون أنه تهديد للمصالح البريطانية .

وحيث أن نزول الضباط الإنجليز عند البصرة كان من مسئولية حكومة الهند البريطانية - وبخاصة حكومة بمباى - فإنها لم تبلغ مسبقًا الحكومة البريطانية فى لندن بهذا الموضوع . وهذا ما يعبر عنه بأن الحكومة البريطانية (الأم) فى لندن (وحكومة) شركة الهند الشرقية البريطانية ومقرها فى سيملا[1] كانتا بمثابة حصانان يدفعان عربة الإمبراطورية البريطانية فى اتجاهين معاكسين كل منهما للآخر ، على نحو ما كان يقول به جمهرة المؤرخين والباحثين الإنجليز ، وتبعهم فى ذلك كثرة من الباحثين العرب ، ونحن نرى أن الحصانين (حكومة الهند البريطانية وحكومة لندن) كانا يدفعان معًا الإمبراطورية البريطانية إلى مزيد من التوسع والقوة ، على نحو ما سبق الإشارة إليه .

---

(١) Simla .

نص الوثيقة

No. 22

The Marquess of Lansdowne to Mr. Townley

(No. 17)

Sir, Foreign office, January 11, 1905

THE Turkish Ambassador to-day renewed his complaints as to Captain Knox's proceeding at Koweit, and as to the alleged landing at Bussorah of British officers said to be on their way to Nejd for the purpose of giving encouragement to the rebellion of Ibn Saoud. I told his Excellency that I had not yet received a full account of Captain Knox's proceedings at Koweit, or as to the alleged landing of the British officers at Bussorsh; but that I was able to inform his Excelleney distinctly that His Majesty's Government had no idea of interfering in the internal affairs of Arabia or of sending Agents to take part in the rivalries of local Chiefs. I added that in view of the manner in which the Turkish Government was treating us in regard to the Aden Iradé, I could not help feeling surprised that his Excellency should come to me with such trivial complaints.

I am, & C.

(Signed) LANSDOWNE

(١٥)

مراسلات بشأن المواجهة الدبلوماسية
بين السلطات العثمانية والإنجليزية حول مهمة لوريمر
يناير ١٩٠٥

مقدمة

أبدى توينلى أن الباب العالى لن يوافق على مهمة لوريمر ، ولذلك - من وجهة نظره - أراد أن يضع الباب العالى أمام الوضع الراهن إذ لم ينتظر وصول رأى الباب العالى، وأعطى الضوء الأخضر إلى لوريمر ليقوم بمهمته ، وأن يأتى إلى البصرة .

كما أن توينلى يقول أنه لم يكن على علم بمقاصد لوريمر من وراء مهمته إلى ولاية البصرة وولاية بغداد . وأنه لأمر ذو مغزى كبيراً أن يتجنب القنصل العام البريطانى فى بغداد المستر نيو مارش إخطار سفير بريطانيا فى استنبول المستر توينلى بتفاصيل ما لديه عن مهمة لوريمر فى العراق والجزيرة العربية فلوريمر ليس بالشخصية البسيطة حينذاك .

وتحت إلحاح السلطات الإنجليزية على السلطات العثمانية لإصدار التصاريح اللازمة لتنقل بعثة لوريمر فى ولايتى البصرة وبغداد بدأت السلطات العثمانية تلبس وتلصق (سوء التفاهم!) الذى وقع بين الطرفين بما كان يوعز به قناصل دول أخرى فى تلك المنطقة من حيث نيات خبيثة لدى الإنجليز نحو هذه المنطقة . وأغلب الظن أن القناصل الفرنسيين والألمان فى العراق هم المقصودون بتلك الإشارة ، هذا إذا كان هؤلاء لهم دور فعلاً فى تحريك شكوك العثمانيين إزاء تحركات هى فعلاً حربية سواء من حيث تزامنها مع الصراع الدولى حول منافذ خطوط السكك الحديدية عبر الشام والعراق ، أو تزامنها مع تطورات جوهرية فى تلك المنطقة .

وقد يكون من المستبعد أن يقوم القناصل الفرنسيون فى المنطقة بذلك على ضوء عقد فرنسا مع بريطانيا الوفاق الودى فى ١٩٠٤ . إلا أن هذا الوفاق الودى ماكان ليحول دون استمرارية التنافس بين هاتين الدولتين فيما هو غير مصر والمغرب اللتين كانتا موضوع ذلك الوفاق الودى.

ولا نستبعد أبداً دور القناصل الروس الذين كانوا يرون فى أنفسهم الوارث الطبيعى للدولة العثمانية والذين تصاعدت أنشطتهم فى منطقة الخليج فى أواخر القرن التاسع عشر . حتى أن

بعض الباحثين يقولون بأن الخطر الروسى على المصالح الإنجليزية فى الخليج كان وراء عقدهم لاتفاقية فرض الحماية البريطانية على الكويت ١٨٩٩ .

وإذا كان للقناصل الروس وللقناصل الفرنسيين دور فى تنبيه السلطات العثمانية إلي خطورة ما سيترتب عن مهمة لوريمر على تلك الصورة ، فإننا نرجح أن القناصل التابعين لألمانيا كان لهم الدور الأول فى ذلك لأن المشكلة تمسهم مباشرة .

وعلى أى أصبحت هناك مواجهة دبلوماسية بين المسئولين الإنجليز والمسئولين العثمانيين حول مسيرة (مهمة لوريمر) .

وجدت السلطات الإنجليزية أنه من العسير أن يقوم لوريمر بمهمته فى النجف ونجد ولذلك اقتصر المسئولون الإنجليز على الإحساء والقطيف بالذات . ولم تكن الإحساء من المناطق الساخنة حينذاك ، بل كانت تحت إدارة عثمانية واضحة منذ حملة مدحت باشا عليها ١٨٧١ / ١٨٧٢ وبها حامية عثمانية ومتصرف عثمانى ، ومنها تنطلق حركات تعمل على تحويل قطر إلي قائمقامية عثمانية لا وجود لآل ثانى فيها .

وتقدم لنا هذه الوثيقة الرؤية البريطانية الأخرى للوجود العثمانى فى الإحساء وقطر وهى رؤية دون مبالغة تلغى هذا الوجود العثمانى هناك .

١ - أن قطر على الأقل شبه مستقلة .

٢ - إن السلطات البريطانية طلبت معاقبة والى بغدادلما تجاوزه بالنسبة للوريمر وزملائه .

٣ - الساحل المهادن خارج نهائيًا عن الدولة العثمانية من قطر إلى عمان .

٤ - أن المسئولين الإنجليز عن تحقيق مهمة لوريمر عجزوا عن تحقيق أهدافها وأصبحوا أكثر عصبية عند تناول الموضوع مع السلطات العثمانية .

وفى برقية من المستر تويتلى إلى الماركيز لانسدون (الآستانة ١٩٠٥/١/٢٥) بشأن رحلة المستر (لوريمر) إلى القطيف أكدت عدم ممانعة السلطات المحلية فى طريقه إليها ، ولكنه طلب عدم الذهاب إلى هذه المدينة (القطيف) نظراً لأن منطقة الإحساء (الحسا) كانت لا تكن وداً للإنجليز .

ولعل كان هذا هو القشة التى قصمت ظهر البعير ، إذ أصبح الاتجاه هو عدم استكمال مهمة لوريمر والغيت .

لقد بذلت السلطات الإنجليزية المسئولة عن موضوع مهمة لوريمر فى العراق والجزيرة العربية كل ما فى وسعها من أجل إنجاح مهمته ليس فقط من حيث الحصول على المعلومات اللازمة لدليل الخليج وإنما أيضًا من حيث القيام بمهمة استراتيجية الطابع لصالح صانعى القرار الإنجليزى فى حكومتى الهند البريطانية ولندن . حتى إذا ما وجد الإنجليز أن المعارضة العثمانية كانت صلبة قرروا إنهاء بعثة لوريمر بعد أن تخلوا عن أهدافها هدفًا بعد هدف .

نصوص الوثائق

No 28

Mr. Townley to the Marquess of Lansdowne. - (Received January 15.)

(No. 14)

(Telegraphic.)p. Constatinople, January 15, 1905

MESSRS. Lorimer and Gabriel's journey.

With reference to my despatch No. 22 of the 10th instant, His Majesty's Consul-General at Bagdad informs me by telegraph that Turkish authorities, having allowed these gentlemen to start for Nedjef, have now issued orders to stop them .

I have been informed by the Sublime Porte, in answer to representations which I made on the subject, that they can go to Kerbela (which they might possibly do vià Hillah and Nedjef) . Porte have heard from Vali of Bussorah, that they insisted on going to Nedjef and Nejd, at the former of which places the expedition against Ibn Saoud is collecting .

Shall I press for them to be allowed to go to Nedjef . I think it would be unreasonable and impolite to insist on their being given permission to go to Nejd under existing circumstances .

I have telegraphed to Major Newmarch to inquire what is the real destination of these officers .

No. 30

Mr. Townley to the Marquess of Lansdowne. - (Received January 16.)

(No. 22)

MY. Lord Constatinople, January 10, 1905

ABOUT a month ago I received a request from the Government of India to procure the necessary permission for two officials of the Government,

Messrs. Lorimer and Gabriel, to travel in the vilayets of Bussorah and Bagdad for the purpose of collecting statistics and acquiring general information for the Gazetteer of India. I accordingly addressed a request to the Porte and after I had ascertained that it had been passed on by the Grand Vizier to the Palace, I caused the usual steps to be taken there to expedite the issue of the permission .

I was doubtful from the first as to whether the Sultan would grant the request I had preferred in the name of the India Government, because I know how jealous His Majesty is of British visitors to the regions mentioned, but I was not prepared for the accusation made to Mr. Lamb, as set forth in the accompanying copy of his Memorandum, that the Vali of Bussorah had ascertained that real object of the two Others, who had already been Carrying on suspicious operations in the neighbourhood of Koweit, was to visit Ibn Saoud and encourage him in his resistance to the Turkish troops.

Mr. Lamb very properly at once categorically-denied that Messrs . Lorimer and Gabriel's journey had any such object, and pointed out that His Majesty's Embassy requested the necessary permits to enable them to carry out their mission .

I yesterday spoke to the Grand Vizier with some warmth on this subject, and reminded his Highness that it was hardly a friendly act to accuse a friendly Power of sending officers to support and encourage a suceessful Arab chief in his resistance to the Imperial forces. I said that it was ridiculous to suppose that His Majesty's Government would employ officers for such a purpose, or that it would be worth their while to foster intrigues against the Turkish Government, but that it was little short of insulting to accuse us of such an intention with officers whose approaching visit had been politely notified to the Porte beforehand . .

Ferid Pasha tried to excuse himself by saying that he did not connect Messrs. Lorimer and Gabriel with the officers whose presenee had been reported from Bussorah, that foreign Consuls were responsible for the suspicions which had been raised, and that now that the Embassy had explained the real object of their visit there was no more to be said, and the Sultan would be fully satisfied.

I pointed out to his Highness that complaint made to Mr. Lamb was based upon a report made by the Vali of Bussorah on the sterngth of information received from his secret agents at Koweit, and that the impropriety on the part of the Sultan's Government in harbouring such suspietions of the acts of a friendly Power still remaines. I added that the best way to prove that our good faith was not doubted was to issue the permissions asked for without further delay.

I have, & c.

(Signed) WALTER TOWNLEY

No. 38

Foreign Office to India Office

(No. 22)

Sir, Foreign Office, January 18, 1905

I AM directed by the Marquess of Lansdowne to transmit to you, to be laid befor the secretary of state for India copy of a despach to his majesty's charge'd, affaires at Constantinople, recording a conversation with the Turkish Ambassador on the subject of alleged proceeding of British officers in Arabia.

I am also to inclose copies of a despatch and a telegram since received from Mr. Townley regarding the visit of Messrs. Lorimer and Gabriel to the Vilayets of Bussorah and Bagdad.

Mr. Brodrick will observe that the officers are stated by the Vali of Bussorah to have insisted on going not merely to Nedjef, but to Nejd also .
No information besides that containes in these papers has reached this Department, and as it is evidently the journey of Messrs. Lorimer and Gabriel which has given rise to the complaint made by Musurus Pasha, Lord Lansdowne would be obliged if Mr. Brodrick would take steps to ascertain what were the precise instructions given to these officers by the Government of India, and what are their intended movments.

Lord Lansdowne thinks that in present circumstances it would not be advisable that they should travel in Arabia, and they should at all events avoid visiting the disturbed districts .

I am & c.

(Signed) T.H. SANDERSON

No. 54

Mr. Townley to the Marquess of Lansdowne. - (Received January 30.)

(No. 52)

MY. Lord Constatinople, January 23, 1905

I HAVE the honour to report that His Majestv's Consul-General at Bagdad has informed me by telegraph that Messrs. Lorimer and Gabriel have returned to Bagdad from Kerbela, via Hillah. Major Newmarch states that upon their arrival at the latter place, the Kaimakam told them that he had recevied orders from Bagdad that they must return thither direct without visiting any other place, but that these instructions only concerned force if they endeavoured to proceed, which they had no intention of doing as they had renounced their visit to Nedjef .

It appears, moreover, that during the second night of their stay at Hillah, sentries were posted on the inn where they were, and that thay were escorted back to Bagdad by gendarmes under an officer. This they only acecpted under protest. Their only object was to travel down the Euphrates to Bagdad for the purpsse of procuring information for the Gazetteer of India. Major Newmarch had himself informed the Vali before their departure from Bagdad that their journey had no reference to military expedition, and I had given similar assurances at the Porte, as I have already reported to your Lordship .

Major Newmarch informs me in a subsequent telegram that Mr. Lorimer being pressad for time, he has instructed the British Viee-Consul at Kerbela to undertake the journey down the Euphrates .

He adds that Mr. Lorimer considers that it is important for him to visit the Katif and Hasa districts, through which the major part of the central Arabian trade passes to and from the coast. He has asked me to obtain assurances that he will not be molested .

I have to-day represented to the Porte in forcible language the impropriety of the way in which these officials of the Indian Government have been treated by the Kaimakam of Hillah, and I have suggested that the Vali of Bagdad be reprimanded, since the instructions to the Kaimaham were issued by him. I pointed out that he would have been a serious offence to have treated the officials of a freindly Government like common malefactors at any time, but that the offence in this instance was aggraviated by the fact that they had been specially recommended to the Sublime Porte by His Majest's Embassy, who had given assurances that the object of thier visit was purely in offensive .

I told the Minister for Foreign Affairs that he was no doubt in possession of a report from Musurus Pasha of the answer which your Lordship had made to his remonstrances against the actions of Messrs. Lorimer and Gabriel, which you were good enough to communicate to me in your despateh No. 12 of the 4th instant. I said that it was ridiculous to suppose for a moment that the Government of India would send officials on such a mission as that which the Turkish Government professed to believe had been entrusted to these gentlemen .

I then informed the Minister that Mr. Lorimer and an assistant proposed to visit El Katif and El Hasa, and I requested His Excellency to give me an assurance that they would not be molested. I added that I felt convinced that His Majesty's Government would be seriously annoyed after what had happened if any obstacles were put in their way to prevent them from carrying out the Mission entrusted to them. The Minister took note of my observations, and said that he would communicate them to the Grand Vesier.

I subsequently saw bis Highness and spoke to him much in the same sense as I had already done to Tawfik Pashe . when I stated that Mr. Lorimer arsked to go to El Hasa . Ferid Pasha at once exclaimed " but that is the Nejd, and we have already said that he cannot go there " .

I represented that the part of El Hasa which Mr. Lorimer wished to visit was not the disturbed region, and I expressed a hope that no obstacles would be placed in the way of the execution of his Mission .

I have, & c.

(Signed) WALTER TOWNLEY



خاتمة

ونخرج من ذلك :

١ - أن الدوائر الدبلوماسية الإنجليزية المختلفة كانت تدير الأزمة على أساس أن تتم (مهمة لوريمر) دون دور للباب العالى فيها . وفى حالة تصديه لها يستخدم الإنجليز أسلوب الضغط . ولكن الظروف كانت تخدم صلابة الرفض العثمانى فى هذا الموضوع على العكس من مواقف الدولة العثمانية بالنسبة لموضوع الكويت (١٨٩٩) وموضوع طابا (١٨٩٥) ، (١٩٠٦) . حيث أن الإنجليز كانوا قد حققوا هدفهم باستخدام القوة فى طابا وبالتحكم فى منفذ خط حديد برلين - بغداد بعقد الاتفاقية الكويتية البريطانية فى ١٨٩٩ .

٢ - إن (مهمة لوريمر) تزامنت مع اتساع إمارة جبل شمر (آل الرشيد) ، وفى أعقاب نكبة الكويت فى موقعة (الصريف) ، وسيطرة عبد العزيز بن سعود على الرياض ومحاولات عسكرية مبكرة عثمانية فاشلة لطرده منها ، ووجود استعداد قوى لدى آل الصباح فى الكويت وآل ثانى فى قطر لإقناع عبد العزيز بن سعود بجدوى وضع نفسه تحت الحماية البريطانية .

٣ - كان عبد العزيز بن سعود يميل إلى تعاون مع الإنجليز خاصة من حيث غضهم الطرف عن (تهريب) الكويت للسلاح إليه . فما من عملية تجارة فى السلاح بين عرب الخليج تتم وتصل أخبارها إلى المسئولين الإنجليز هناك حتى يوجهون إليها ضربة موجعة ، وقد تؤدى إلى معاقبة الإنجليز للشيخ الحاكم إذا ثبت لديهم تورطه فى هذه التجارة القاصرة عليهم من وجهة نظرهم . هذا إلا إذا كان السلاح فى طريقه إلى من يعتبر شوكة فى جنب خصم للإنجليز . وكانت هذه هى وضعية عبد العزيز بن سعود فى ١٩٠٤ / ١٩٠٥. إلا أن هذا التعاون الذى كان ينشده عبد العزيز مع الإنجليز كان يتناقض مع السياسة البريطانية الموضوعة نحو الصراعات العربية - العربية . فمن حق الزعامات العربية أن تتصارع فيما بينها ، ولكن فيما هو بعيد عن سواحل الخليج وإلا تعرض الشيخ وأعوانه لعقاب من جانب الأسطول البريطانى فى الخليج . على اعتبار أن ذلك خرق لاتفاقيات معقودة مع الإنجليز منذ ١٨٢٠ .

٤ - إن عبد العزيز بن سعود كان فى ١٩٠٤ / ١٩٠٥ فى نظر حكومة الهند البريطانية - المسئولة الأولى عن صناعة القرار نحو الجزيرة العربية - كان قوة سياسية داخلية فى (نجد).

ومن ثم فإن صراعات الداخل (قلب الجزيرة العربية) مسألة لا تدعو إلى تدخل بريطانى تمشياً مع تلك السياسة . بل كانت تنظر بعين الريبة إليه . خاصة وأن محاولات قوية من جانب السلطات العثمانية الحاكمة فى ولاية البصرة كانت تسعى إلى كسب عبد العزيز بن سعود والتوصل إلى تفاهم معه . ومن أبرز تلك المحاولات عقد اجتماع ثلاثى (والى البصرة ومبارك الصباح وعبد الرحمن بن فيصل والد عبد العزيز) الأمر الذى جعل السلطات الإنجليزية فى الخليج تخشى مغبة نتائج هذا الاجتماع فحركت إحدى قطع أسطولها الحربى لتكون مجريات هذا الاجتماع تحت مظلة " القوة البحرية الضاربة الإنجليزية " .

٥ - إذا وضعنا فى الاعتبار أن عبد الرحمن بن فيصل - والد عبد العزيز - كان يرى جدوى الانحناءة للعاصفة العثمانية بإرسال برقية أو رسالة تعلن الولاء للسلطان العثمانى ، فإن عبد العزيز يكون فى نظر القوى العربية فى المنطقة أشد خطورة عليهم لأنه يصبح متطلعاً إلى استرداد ماكان تحت يد آبائه وكذلك خطراً على السياسة العثمانية الهادفة إلى فرض اليد العليا العثمانية على المنطقة بما تتضمنه من مفاهيم سياسية فضفاضة (الجامعة الإسلامية / الخلافة الإسلامية على الطريقة العثمانية) . ويكون عبد العزيز كذلك - فى هذه الحالة - قيادة عربية يحتاج الإنجليز إليها لضرب المفاهيم العثمانية ، وخاصة من حيث تقويض الإمارة الشمرية (آل رشيد فى جبل شمر) ومنعها من الاقتراب من الكويت منفذ الخطوط الحديدية العالمية إلى الخليج .

٦ - كانت القوى القيادية العربية فى المنطقة تدرك تماماً أنها تعانى من دولتين عالميتين متناقضتى المصالح والاتجاهات : الإمبريالية الاستعمارية البريطانية ، والخلافة الجامعة الإسلامية على الطريقة العثمانية التى تجعل (الأتراك) أصحاب الدور والمصلحة دون أى دور عربى إلا إذا كان محدوداً ، ووضع المصالح العربية فى خدمة الأهداف (التركية) . وكانت - أى القيادات العربية - تدرك أنها أضعف من أن يتصدوا بأنفسهم لأى من هاتين القوتين . ومن ثم كانت هذه القيادات تبحث عن " مخرج " يحفظ لها دورها الشرعى وأن تحمى نفسها من النية المبيتة (التركية) لإخضاعها أو النية المبيتة (الإنجليزية) للسيطرة على ما يمكن السيطرة عليه من البلاد العربية .

فكان منهم من اختار المعسكر العثمانى مثل آل رشيد ومنهم من اختار المعسكر الإنجليزى مثل آل الصباح وآل ثانى ، ومنهم من وقف بين بين . ولكن الجميع كانوا يدركون أنهم مطمع الطرفين الكبيرين الإنجليز والأتراك العثمانيين .

٧ - ظهرت تيارات قوية تدعو إلى نبذ العباءة التركية العثمانية والدخول تحت الحماية البريطانية . وكان يقود هذا التيار مبارك الصباح شيخ الكويت وبعض أفراد آل ثانى فى قطر. وكانت هذه الاتجاهات تخدم الطرفين الإنجليزى والقيادات العربية الميالة إليهم . فإن تفكيك قدرات المنطقة إلى وحدات سياسية عديدة متناحرة هو الذى يقلل من مخاطر ظهور دولة قوية تستطيع أن تتحدى السياسة الاستعمارية الإنجليزية فى المنطقة ، فى نفس الوقت كان هذا التفكيك يعتبر تلبية لرغبة القيادات العربية التى أصبحت ترى أن الوقت قد أزف لأن تتولى إدارة شئونها بنفسها دون ما سيطرة أى عنصر آخر عليها لهذا السبب أو ذاك . فالزمن حينذاك كان زمن الوطنيات القوميات وقيام نظم الحكم المعبرة عن مشيئة الأهالى وليس زمن الإمبراطوريات المتسلطة أو زمن إخضاع عنصر لعنصر . فمن هذا المنطلق تكون كل من الإمبراطورية الاستعمارية البريطانية والتسلطية العثمانية / التركية يسيران ضد المسيرة الحضارية بغض النظر عن استمرارية الإمبريالية البريطانية بعد ذلك لحوالى قرن من الزمان .

٨ - أدى ذلك الصراع اللا إنسانى التركى والإنجليزى إلى أن يدعم الإنجليز الحركات القومية / الوطنية فى المنطقة . ومن ثم وجدت قيادات عديدة عربية نفسها فى خندق واحد مع الإمبراطورية الاستعمارية .

كانت كل هذه التيارات تفرض نفسها على مختلف الأطراف . ولذلك كان عبد العزيز بن سعود يقترب بحذر من السلطات الإنجليزية ، وكانت هذه السلطات تقترب كذلك منه بحذر . ولكن حكومة الهند البريطانية وجدت نفسها مضطرة للتخلى جزئيًا عن السياسة الموضوعة نحو قلب الجزيرة العربية (عدم التدخل فى التطورات الداخلية) بسبب نجاح عبد العزيز بن سعود فى السيطرة على الرياض من يد آل الرشيد الذين كانوا يستعدون - بدعم عثمانى - للاستيلاء على الكويت الواقعة تحت الحماية البريطانية . فحركة عبد العزيز - فى ذلك المناخ- كانت تحتاج إلى دعم بريطانى . حقيقة غضت السلطات المسئولة الإنجليزية هناك عن تهريب / نقل السلاح إلى عبد العزيز بن سعود ، ولكن عبد العزيز يحتاج إلى ما هو أكثر من ذلك ألا وهو إشعاره بأن القدرات الإنجليزية قريبة منه . وإذا ما تحركت حكومة الهند البريطانية بشكل مباشر فى هذا الاتجاه كانت ستواجه رفضًا من حكومة لندن ، وإن كان هذا من حيث الشكل فقط. فضلاً عن مقاومة شديدة عثمانية .

ومن هنا كان البحث عن وسيلة تحقق الهدف الإنجليزى دون الخروج عن السياسة الموضوعة. وتزامن ذلك مع الانتهاء ١٩٠٤ / ١٩٠٥ من إعداد موسوعة الخليج (دليل الخليج) على يد لوريمر ومعاونيه ، وأصبح من المطروح إضافة المستجدات إلى الطبعة الجديدة التى صدرت فعلاً فى ١٩٠٨ ، الأمر الذى يتطلب قيام بعثة / مهمة يتولاها المسئول عن تلك الموسوعة إلى منطقة الخليج . والتقط صناع القرار السياسى / الاستراتيجى هذا الموضوع ليصبح وسيلة بريطانية للاقتراب من عبد العزيز بن سعود فى هذه الظروف . بأن يقوم لوريمر والعسكريون بعمليات مسح للأراضى والسواحل والبحر ، وفى نفس الوقت استعراض العضلات البريطانية، وإقامة معسكر فى المنطقة الواقعة بين الكويت والبصرة على طريق عبد العزيز بن سعود إلى أى منهما .

وأدركت السلطات الحاكمة العثمانية / التركية خطورة هذه البعثة / المهمة ، حيث أن الدولة العثمانية منذ مطلع القرن التاسع عشر كانت تعانى مر العناء من أمثال هذه البعثات الأجنبية فعملت على إرغامها على التخلى عن أهدافها المعلنة والمختفية الواحدة بعد الأخرى ، حتى تبين للمسئولين الإنجليز أنها فقدت المضمون فانتهى الأمر بإلغائها .

المحتويات

ثانيًا : التأريخ فى خدمة صناعة القرار الاستعمارى

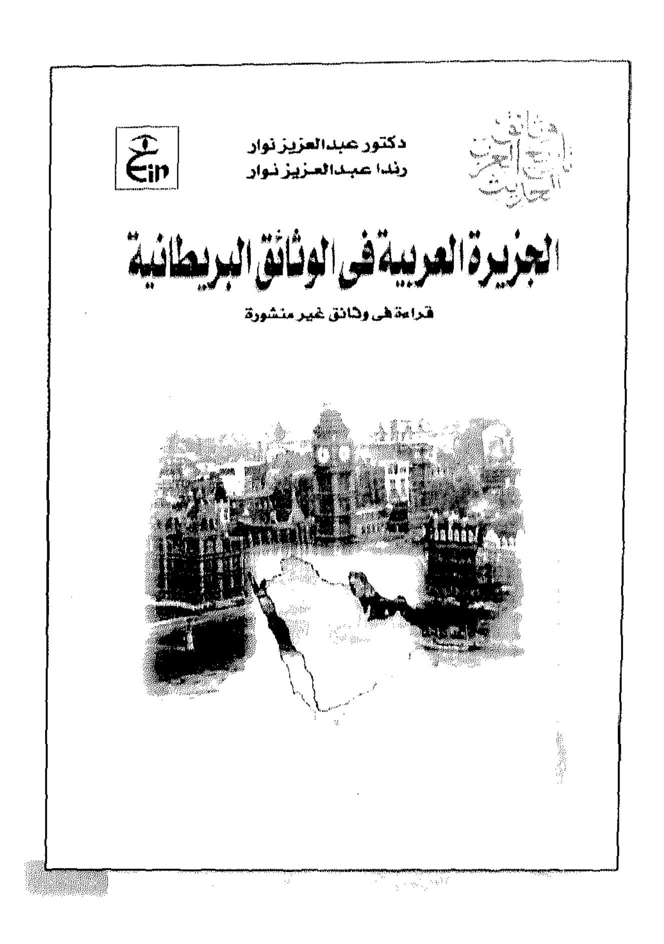


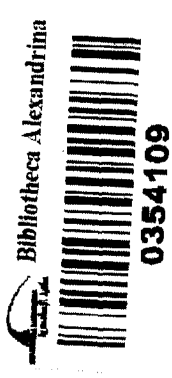
رقم الإيداع ١٠٩١٨ / ٢٠٠١

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 322 - 061 - 3

دار روتابرينت للطباعة ت: ٧٩٥٢٣٦٢ - ٧٩٥٠٦٩٤
٥٣ شارع نوبار - باب اللوق









للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية
FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES